زيارة المـوتى VOYAGES CHEZ LES MORTS

شـخصيات المسرحيـة

- **جان**
- **جد جان لأبيه** : اسمه ليون .
- **جد جان لأمه** : اسمه أرنست .
- **الجدة** : العجوز .
- **والد جان**
- **والدة جان**
- **الزوجة الثانية لجان** : السيدة سامبسون ، اسمها هيلين .
- **شقيقا جان** : بول ، الكابتن . بيير ، الموظف الكبير .
- **شقيقة جان** : اسمها ليديا .
- **زوجة جان** : اسمها ارليت (جان يخلط بينهما) .
- **لويس** : (صديق جان الخائن) .
- **اسكندر** : (صديق جان) .
- **زوجته** : فيوليت .
- **جرجس** : (صديق طفولة جان) .
- **كمبارس** : السينمائي . القروي . نسوة ، الخ .

الديكور : المنصة مقسومة الى نصفين بواسطة حاجز له بـاب . من الممكن أيضـا عدم قسمة المنصة الى شطرين والاكتفاء بوجود باب أو اطار باب فى منتصف المنصـــة . فى الجزء الأيمن فراش من الحصير يتمدد عليه شيخ عجوز على رأسه طاقية . فى الناحية الأخرى رجل أصغر بقليل يجلس فوق حصير آخر يقرأ الصحيفة . فى كل ناحية كرسى ومنضدة . من جهة اليسار يدخل جان دون أن يتوقف فى الحجرة الأولى ، يفتح الباب ويذهب الى الحجرة الثانيـــة حيث يتمدد الشيخ العجوز .

جــان : صباح الخير يا جدى .

الجــد : أنا جدك لأمك ، لكننى أريد أن تدعونى باسمى وهو ليون .

جــان : صباح الخير ياليون .

الجــد : لماذا تنظر الى هكذا ؟ كان عمرى أربعة وسبعين عاما حينما انتقلت الى العالم الآخر ، وها قد مر على موتى ثلاثون عاما . هل تذكر ؟ كنت صغيرا .

جــان : يبدو عليك الغضب . ومع ذلك كنت الطف واظرف حينما كنت على قيد الحيـــاة . كنا نذهب معا الى السينما . وصعدت معك برج ايفل لأول مرة . جدتى ليست معك هنا ؟

(الجد يلزم الصمت) .

« اما » ليست معك ؟

الجــد : لقد ماتت أرمل ، فهى حرة .

اذن فأنت لا تراها كثيرا . أنا أنظر اليـك لأننى لم أكن أعرف أننى أشبهك الى هذا الحد ، الحواجب هى هى ، لون العينين نفسه ، الأنف الضخم هو هو .

الجــد : دعنى فى هدوء أننى أفكر فى اختراعى .

جــان : اختراعاتك مرة أخرى . انها لم تنجح فى حياتك . فهل تعتقد أنها الآن ...

الجــد : اذهب لزيارة ارنست ، ابنى ، خالك ، فى حجرته .

جــان : ســـأعود اليك .

الجــد : لقـد سلبونى كل شىء . انهم يمنعوننى حتى من تدخين الغليون .

(يعود وجهه فى مقابل الجدار) .

(جان يتظاهر بالطرق على الباب) .

جــــان : ممــكن ؟

ارنست : ادخل .

جـان : تسكن مع جدى الآن ؟

ارنست : من أعطاك عنوانى ؟

جــــان : صباح الخير يا ارنست .

ارنست : قل لى يا خالى . أنا اسألك كيف عرفت عنوانى ؟

جـان : ماذا دهاكما أنتما الاثنان ؟ هل الموت هو الذى جعلكما شرسين هكذا ؟

ارنست : أنا لم أمت ، أنا بلغت سن التسعين . بوسعى أن أكون أبا لأبى . كل ما هناك أننى قررت أن أتوقف وأن أثبت عمــــرى عنــــد التسعين . لا أريد أن اعيش أطول من ذلك .

جـان : هل عندك فرشاة ؟ فلكى أصل الى جدى واليك سلكت طرقا موحلة . كذلك كان هناك مطر خفيف بللنى قليلا ، المهم أن حذائى اتسخ وكذلك أسفل بنطلونى ، ثم ، لما كانت جميع المنازل بيضاء ومنخفضة ، فقد وجدت صعوبة فى معرفة منزلك . أو بمعنى أصح منزلكما ، مادمت تسكن مع ليون فى بيت واحد .

ارنست : أنت لم ترد على ســـــؤالى . من أعطاك عنوانى ؟

جـان : نسيت . نسيت . ربما والدتى .

ارنست : هى لا يمكن أن تعرف العنوان ، فقــــد رحلت قبلى . وأنا لا اراها أبدا . ولا أعــرف أخبارها . العائلة لا تحبنى . ومع كل فماذا كان بوسعى أن أصنع لأفراد أسرتى . لقــد دبرت مراكز لجميع أفراد الأسرة . ساعدتهم. أما هم ، فكلما تحسنت أحوالهم وكلما ارتقوا فى مناصبهم هجرونى ولم أعد أراهم . اذن ، من الذى أعطاك عنوانى ؟ لا أريد أن يعــــرفه أحد . لقد كنت دائمــــا افكر فى الآخرين ، أما الآن فلا أريد أن أفكر الا فى نفسى .

جـان : ولا تعرف حتى أين توجد خالتى سوزان؟ فلعلها تعرف عنوان والدتى . فهى التى أبحث عنهــــا . اننى لم أرها منذ فتــرة طويلة ، ولا أريد أن تتصور أننى نسيتها . بل اننى اود أن أقدم لها بعض الهدايا والورود .

آه ، نعم ، من أعطانى عنوانك ؟ ربما أكون وجدته بنفسى ؟ هذه الطرق الموحلة قد ألهمتنى ، وهذه المنــازل المنخفضة . قلت فى نفسى انها كانت تميل الى هذا النوع من المساكن . كانت تناسب ذوقها . كانت تغير سكنها كثيرا وكانت تبحـث دائما عن الأدوار الأرضـية أو الأدوار السفلية . هى التى كنت أبحث عنها ، فوجدتك أنت . هذه المنــازل المنخفضة ، ذات السقوف المنخفضة ، البيضاء مع شىء من القــذارة هى ذوق العائلة .

ارنست : أخى أندريه وحده هو الذى كان يعرف عنوانى . وقد طلبت منه ألا يخبر به أحدا ، اى أحد ، اى احد . لم اعد أسمع عنه شيئا .

جـان : انه فى الثمانينات ، مادمت تريد أن تعرف عمره الآن ، لكنه فى صحة جيدة .

ارنست : نعم : هانت ذا ترانى رث الثيـاب ، قذرا ، الرودانجوت الذى عندى كله ثقوب ،

يلمع من كثرة الاستعمال · كنت لا أحب أن تراني في هذه الحالة ، بعد كل ما أتيته للجنس البشرى ·

الظلم ، الظلم في كل مكان · انى لا أكاد أملك ثمن الصحيفة أشتريها مرة في الأسبوع · اذن معرفتي بالأخبار قاصرة · هيئتي كهيئة الصعاليك المتشردين لكنني أحتفظ بعزة نفسى واستقلالى ·

جـان : أنت لا يمكن أن تتغير يا خالى ·

ارنست : لا أحد يستطيع أن يشتريني ·

جـان : أنا عندى نقود ، عندى نقود كثيرة ، أستطيع ان أعطيك منها مادمت أنت أخاها ·

(جان يخرج لفافة من الأوراق المالية من جيبه) ·

خذ ، لك ولجدى ، ستمائة ألف فرنك ، ألف فرنك جديد ·

ارنست (الذى لايبدو عليه الامتنان)
هذا يكفى حاليا · هذا ليس كل ما تقدمه لنا، يجب أن تقدم غيره ·

جـان : تذكرت الآن كيف عرفت عنوانك ، أو على الأقل ، الطريق اليك · لقد سرت وراءك فى شوارع المدينة ، وفقدت أثرك · ولكننى قبل ذلك · كنت قد رأيتك تتنقل من منزل الى منزل · من متجر الى متجر ، كان أمرا غريبا· ربما كنت تفعل ذلك من أجل الأعمال · ثم أخفيت نفسى خلف زاوية أحد الشوارع حتى لا ترانى ، واذا بك تختفى ، فقد هربت منى · فكيف فعلت لكى أعثر عليك ؟ شخص ما ، لكن من هو ؟ صحبنى جزءا من الطريق ، شخص ما هو الذى أعطانى ، مع ذلك ، معلومات عن الطريق اليك ·

ارنست (وهو ينتهى من عد النقود)

ستمائة ألف فعلا ·

جـان (خارجا نحو اليسار)

سأعود ، ولكننى يجب أن اذهب للبحث عنها ·

(ارنست ينتقل الى حجرة الجد والنقود فى يده) ·

ارنست : ليون ، انظر ، معى نقود ، فيكتور هو الذى أعطانى اياها· رد لى جزءا من دينى عليه·

الجـد : أعتقد أن اسمه ليس فيكتور ·

ارنست : لا يهم ·

(الجد ينهض · يجلس على حافة الفراش ، ينظر الى النقود) ·

هذه الأوراق المالية لا قيمة لها · فهى ليست سارية المفعول فى قريتنا ، ولا حتى فى سوق الأوراق المالية (البورصة) ·

★

الديكور : لا توجد تركيبات ديكور : كرسى ، منضدة ·

الشخوص : الأب ، رجل آخر فى الخمسينات ، (الرجل الآخر جالس الى المنضدة ، حافظة أوراق فوق المنضدة، جان يدخل من الباب)·

الأب : هل جئت لزيارتي ؟ لم أكن أتوقع زيارتك. هل جئت فعلا من أجلي ؟ أعتقد أنت جئت من أجلها . اليس كذلك ؟

جان : الذي يدهشني أكثر أن أكتشف في رحلاتي مدنا جديدة ، مدنا لم أسمع عنها في حياتي . صحيح أنني لست قويا في الجغرافيا، ولكنني مع ذلك كنت أعرف الضروري منها ، غير أني فوجئت وبلا مقدمات بوجود مدينة جديدة . لابد وأنها كانت مستعمرة فرنسية . مدينة منسقة بها ميادين ليست كبيرة جدا وشوارع ليست ضيقه جدا ، وطرق ليست واسعة جدا ، ومنازل متوازية لا هي بالغة الارتفاع ولا هي بالغة الانخفاض . تشعر أن داخل الشقق مريح كما أن بها شرفات . وفي الخارج لا يوجد اناس كثيرون . ولعل ذلك لأن السكان ينعمون بالهدوء والراحة داخل بيوتهم ، ولديهم كل ما يحتاجون اليه .

الأب : لابد أنني سمعت عن هذا البلد فعلا ، ان أخي الذي كان عالما جغرافيا كبيرا والذي مات في مطلع شبابه ، قام برسم حدود هذا البلد. وهو بالفعل مستعمرة فرنسية توجد في شمال الصين . الناس فيها يمارسون ركوب الخيل ونسميهم « آخر فرسان الغرب » ، ومع ذلك فهم يسكنون الشرق الأقصى . فطرفا النقيض يتلامسان ويلتقيان . أنت لم تشاهدهم لأنهم ربما كانوا في الحقول حينما قمت أنت بزيارة هذا البلد .

جان : كيف اذن نفسر وجود البحر والمحيط ؟ لقد لمحت ذلك على حين فجاة وأنا أدور عند زاوية أحد الشوارع ، كان أزرق اللون مثل « كوت دازور » ، بل كان هناك ميناء .

الأب : أنت لم تأت للبحث عنى . بالنسبة لى ، الأمر سيان ، فلقد تجاوزت مشاعر الأسف والمرارة .

جان : كان البحر في نهاية الطريق على هذا النحو ، فالشارع كان يهبط قليلا كما هي الحال في سان فرانسيسكو ، ومرة واحدة لمحته بالسفن على هذا النحو :

(يظهر أمامنا فوق جدار أقصى المسرح نهر كبير أزرق ، ومساحات خضراء وأشجار يغشاها ضوء شديد) .

انظر ، كان مثل هذا بالضبط .

(الصور تختفي) .

الأب : كنت أعرف أنك ستأتي ، وكنت أعرف أن ذلك ليس من أجلي . ولكنني أؤكد لك أن الأمر سيان بالنسبة لى . ان السلطات الجديدة طردت من المكتب جميع المحامين فيما عدا ثلاثة أو أربعة كنت أنا واحدا منهم . فقد كنت أتعامل معهم بحكمة وعقل ، كنت أطيعهم وأدافع عن المتهمين الذين يطلبون مني الدفاع عنهم، ولكن في الحدود التي يرسمونها هم فيما يختص بالدفاع .

جان : أي دفاع كان بوسعك أن تقوم به ؟ لم يكن من حقك أن تدافع ، أنت بكل بساطة كنت تكلف زبائنك .

الأب : أنت مخطيء . أنتم جميعا مخطئون . رؤوسكم مليئة بدعايات الآخرين . لقد قمت بالدفاع عن موظفي البريد الذين كانوا يضربون عن العمل بسبب الحرارة الشديدة . وأيدت طلباتهم .

ولكن كان من الغريب ألا أدافع عن مجرمي الدولة .. ثم انهم ألغوا وظيفة المحامي بالكامل.

ولكن لما كنت مطيعا ، فقد كانوا ظرفاء معى وأعادوا تعييني .

جـان : أعادوا تعيينك في الشرطة ؟

الأب : كلا ، نحن ننتمي الى وزارة الشرطة · نحن نتلقى اعانات من وزارة الشرطة · ولسنا رجال شرطة · أنا لست رجل شرطة والدليل هو أنني تحت الرقابة · لقد حذفوا من رواياتي بعض الأجزاء القليلة · فأنا أكتب روايـات طويلة ·

(يخرج ملفا ضخما من درج المنضدة) ·

انظر · هذا هو الجزء الأول · رواية قاتمة ·

جـان : أوراق ، كم مهمـــل من الأوراق ، أنت بيروقراطي ·

الأب : أنت لا تحقد علي لأسباب سياسية ، أنت تحقد علي ، في الواقع لأنني طلقتها ·

جـــان : أنت هجرتها ·

الأب : أنا آسف لأنني لا أســـتطيع أن اعطيك عنوانها · لقد اختفت ، أنا صحبتها حتى محطة القطار · ورفضت أن تخبرني بوجهتهـــا · كل ما أعـرفه أنهـا حجزت سريرا للنوم في القطـار ·

جـان : اذا كانت عربات نوم فوجهتها لابد أنها كانت مسجلة على الاعلانات · كان بوسعك أن تسأل الموظفين · أعتقد أنك كنت ســـعيدا بذهابها ، لقد فعلت كل شيء لتحقيق ذلك · ولم تحـــاول أن تستبقيها · كان يكفي أن تقول كلمة ·

الأب : لم تكتب لي على الاطلاق ·

جـــان : من باب الحرص ·

الأب : وأنت ، هل كتبت لك ؟

جـان : خطاباتها لم تصلني ، ولكنها كتبت لي · أنا متأكد من ذلك · بلى ، بلى ، عندي دليل عقـلي ·

الأب : لابد وأنها ذهبت بعيدا جدا · وصلت الى حيث لا يمكن أن نلمح أحدا ، لا بالعين المجردة ولا بالآلات · هي التي هجرتنا ·

جـان : بل أنت ، لكي تتزوج مرة أخرى ·

الأب : أنا وحيد · زوجتي الثانية ماتت · الجميع يعتقدون أنها على قيد الحياة وأنها أرمل منذ فترة طويلة · وهكذا يقع الناس في الأخطاء ·

(يظهر على المنصة سرير قديم بغطاء وستائر مسدلة · يدفع السرير رجلان سنسميهما « بول » و « بيير » وهما شـقيقا السيدة ساميسون · السرير يستقر في منتصف المنصة) ·

سترى الآن :

(« بيير » و « بول » يفتحان الستائر فيظهر السرير الذي ترقد عليه سـيدة ميتـة · أربـع شمعات موقدة في أركان السرير) ·

الدليل ، ها هو ذا !

جــــان : ما هذه المسخرة ؟

الأب : هذه ليست مســـخرة · هذه الجثة هي الدليل الحي · هذان هما شقيقاها : « بيير » و « بـول » ·

بيير (لجان)

هل تعرفني ؟ أنت كنت صغيرا جدا ·

بـول : عرفنا أنك أصبحت شخصية مرموقة · كنا فخورين بك حينما علمنـــا أنك حصلت على كأس ديفيز ·

بيير (مشيرا الى السرير)

كما ترى ، أختي ماتت ·

بـــول : أجل أختي ماتت ·

بيير : هيلينا ، شقيقتنا الكبرى ، جميلة العائلة ·

الأب : كل انسان من حقه أن يتزوج مرة أخرى ، وأن ينفصل ، وأن يتزوج مرة أخرى . لم يكن ذلك سببا للحقد عليها . خاصة وأنها لم تستفد من الميراث ، ولا أنا ، لقـد وهبت المال كله للدولة . ولحسن الحظ ، كتبى تجد رواجا . بل اننى أحصل على ثمنها مقدما . أحيانا أكتبها أنا ويقوم بيير أو بول بالتوقيع . وأحيانا اوقع أنا ويقوم بيير أو بول بكتابتها .

بيير : شركة نقابية ثلاثية .

بـول : كنـا دائمـا نسوى أمورنا مع جميع الحكومات .

جـان (للأب) : أنا لا أصدق . فأنت الذى تتولى كل شىء ، وتكتب كل شىء كالعـادة . وهم الذين يستفيدون . عائلة من اللصوص . من الأفاقين .

الأب : كيف تجرؤ على مخاطبتى بهذه اللهجة ؟

جـان : وأنت ، كيف تجرؤ على أن تكذب على ؟ كيف جرؤت على خداعهـا وسرقتها ، كمـا سرقتنى أنا ؟

الأب : انا لم أكن مدينا لك بشىء . أنا حصلت على كل شىء بفضل كفايتى وعلمى ، لم يقدم لى أحد أية مساعدة .

جـان : انا لست بحاجة الى مساعدتك ، ولكن ، هى كانت فى حاجة الى المساعدة . وكان ينبغى عليك مساعدتها .

بيير : لا أظن انكما ستتعاركان !

بـول : لا يصح ولا يليق أن نعرض مثل هذا المشهد أمام ميتة .

بيير : هى لا دخل لها بذلك .

الأب : ما أجملها بالرغم من السن المتقدمة والشعر الأبيض ! . انظروا اليها . انها اقل شحوبا مما كانت وهى على قيد الحياة .

بيير (لجان) : أنت كنت ضـعيفا فى الفيزياء والكيمياء مما جعلنا نعطيك دروسا خصوصية .

الأب : وأنا دفعت .

جـان (لبيير وبول)

لا أسـتطيع أن أغفر له ، لأننى لا أدرى إذا كانت هى غفرت أم لا .

بيير : ان أغلى ما نملك هو الحياة .

بـول : هذا ما كانوا يرددونه علينا فى مدرسة ضباط الصف .

جـان : سأبحث عنها مرة أخرى ، وثالثة ، لكى أسألها ، حينما أعثر عليها ، لكى أسألها رأيها فيه . هذا اذا كان ما يزال لها رأى وما تزال تذكـر ذلك . فمن المحتمل أنهـا نسيت كل ذلك .

★

الديكور : باب منخفض جدا فى منتصف جدار أقصى المسرح .

فى البداية المنصة تكون مظلمة . فى الداخل، حينما تضىء المنصة سنرى ثلاثة أسرة وأرائك . سنرى أيضا السيدات اللاتى لا نسمع فى بداية المشهد سوى أصواتهن . توجد سيدتان

(نسمع ضوضـاء وقع أقدام ، احتكاكات ، لشخص موجود بالخارج) .

السيدة الأولى : يجب أن تنحنى يا سـيدى لكى تدخل . آه ، نعم ، الباب ليس عاليا جدا . يجب أن تنحنى . انتبه حتى لا ترتطم رأسـك . أضىء النور يا سـيدى اذا كنت لا ترى . الزرار فوق فتحة الباب مباشرة . ابحث يا سيدى ، تحسس وستجده . فأنت بذلك ستضىء لنا أيضا . أشعر أنك نجحت .

(الأنـوار تضىء . السيدتان ترتديان قناعين متطابقين . نرى فى أقصى المسرح الباب الصغير

جدا الذى يدخل منه جان وهو منبطح تسبقه قبعته التى تسقط فوق المنصة لمدى لحظات) ·

السيدة الثانية : ادخل ، يا سيدى ·

(جان دخل · يتقدم وهو ما يزال منبطحا حتى يصل الى القبعة فيأخذها فى يده· ينهض) ·

السيدة الأولى : ألم تصب بسوء ؟

جـــان : لماذا تظلان فى الظلام ؟

السيدة الثانية : لأنه لا يمكن أن نضىء النور أو نطفئه الا من الخارج · كما فعلت أنت · بعض الأشخاص يمرون أمام بابنا وهم يمتطون صهوة الجياد وحينما يلاحظون أن البـاب منخفض جدا بحيث لا يستطيعون الدخول عندنا فوق الجياد ، فانهم يطفئون النور لمضايقتنا ·

السيدة الأولى : ويمر غيرهم من الطيبين فيضيئون النـــور ·

السيدة الثانية : وهكذا فنحن نخضـــع لمشيئة أولئك وهؤلاء ، تبعا لكونهم طيبين أو خبثاء ·

جـان : لماذا توافقان على العيش فى هذه الشقة التى ليس لها نوافذ ؟ ·· اننى أبحث عنها منذ فترة ·

السيدة الأولى : انت تبحث عن أمك ؟

جـان : كلاكما تشبهها · ألا يمكن أن تكون هى احداكما ؟

السيدة الأولى : نحن نتشابه جميعا · أقصـــد نساء الطائفة ·

السيدة الثانية : نحن لســـنا قريبــات ، كلا ، يا سيدى · لسنا أختين لها · لا يوجـد بيننـا سوى تشابهات روحية ·

السيدة الأولى : ربما ستأتى ، فقد خرجت لشراء بعض الحاجيات ·

السيدة الثانية : لقد ســـافرت منذ خمسة عشر يـوما ·

السيدة الأولى : كلا ، لقـد كانت موجودة صباح اليـوم ·

جـــان : صـــباح اليـوم فقط ؟ ويكون مضى خمسة عشر يوما ؟

السيدة الأولى : المفروض أن تعود ·

جـــان : يمكننى أن أنتظر ·

السيدة الثانية اذن لن تلبث أن تعود · يمكنك إنتظارها ·

جـان : لست أدرى ان كنا نتكلم عن الشخص نفســـه ·

السيدة الأولى : يمكننـا أن نصـــنع لك بعض الفطائر ·

السيدة الأولى : الايجار متواضع جدا ·

جـــان : ومع ذلك فلابد وأنهـــا موجـودة فى مكان ما ·

السيدة الأولى : لست أدرى ما الذى جعلهـــا تخرج · لقد بقيت هنا أيـاما وأسابيع وشهورا بل وسنوات ، ثم وعلى حين بغتة ···

جـــان : الم تقل انها تنتظر أحدا ؟

السيدة الثانية : كلا ، ولكنهـا لا تستطيع أن تعرف ذلك ، فالبريد سيىء للغاية · ثم ، هل كتبت أنت لها لكى تخبرها ؟

جـــان : البريد سيىء جدا ·

السيدة الأولى : أنا فاهمة ·

السيدة الثانية : ربما تكون قد سافرت لفترة معينة .

جـان (قلقا وحزينا)

ربما تكون قد سافرت فعلا لأنها شعرت أننى سأحضر ؟ اننى لم أسىء اليها بتاتا الا من حيث لا أدرى .

السيدة الأولى : هذه مشكلات لا نستطيع نحـن أن نتدخل فيها .

السيدة الثانية : لعلها سافرت الى الاقليم الآخر لزيارة احدى صديقاتها . وتدعى جوليانا . انها تملك قصرا جميلا أســـود . وقد أمضت أوقاتا سعيدة فى هذا القصر ، لقد أرادت رؤيتـه مرة أخرى قبل هدمه .

جـان : القصر الأسود ؟ تقصدين القصر الابيض؟

السيدة الأولى : ومع ذلك فقد كانت موجودة قبل لحظات . لعلها قد سافرت الى الابد .

جـان : هل تعتقدان أنها سافرت الى الأبد ؟

الديكور : حجرة حقيرة . كرسى موسد قديم فى احد الأركان يجلس عليه الأب . وفى الناحية اليمنى من المنصة منضدة لها ثلاثة أدراج .

(الأب جالس فوق الكرسى ، ينظر من آن لآن فى الساعة فى معصمه . يتحدث) :

الأب : متأخر ، بطبيعة الحال . شىء لا يدهشنى . لقد كان دائما متأخرا . كان دائما يحصل على درجات سيئة فى المدرسة . كيف تسنى له أن يكمل دراســـاته العليـــا ؟ ضعيف فى اللغة الاغريقية ، ضعيف فى العلوم . ومع كل فقد أكمل جميع الدبلومات . كنت أود أن أجعل منه مهندســا . لم يطعـنى فى حيـاته . كان دائما ضدى . يا له من جيل غريب ! دائما اتهامات ، لم يفهمنى على الاطلاق . كان يحتقر أصدقائى ، وأسرتى الجديدة .

(جان يدخل)

جـان : أنت أيضا ! منذ سنوات وأنت لا تفارق أحلامى ، أنت وزوجتك وأمى وأصهارك . لم أحلم بكم جميعا سنين طويلة . عشرات السنين . فما معنى هذه العودة اليكم ؟ هل معنى ذلك أننى لن ألبث أن ألحق بكم ؟ لم ننتـه من تصـفية حساباتنا ؟ دائما نعود لهذه البدايات المفزعة .

الأب : ذلك لأن العالم لم يعد يهمك .

جـان : أنا مازلت على قيد الحياة . مازلت أناقش فى جلبة وهياج . أتظاهر باهتمامى بهذه الحياة . لقد فاض الكيل بى .

الأب : ومع ذلك فقد نجحت كما يقولون ، عشت حياة حافلة الى حد ما . حافلة جدا . حققت المجد .

جـان : أنا الآن أكبر منك عمرا . ومع كل فكلما رأيتك وجها الى وجه أشعر أننى مازلت الطفل البـائس الذى كنت تمارس عليـه اضطهادك ، وكنت تضربه . كنت تسبنى بسبب أمى التى لم تسىء اليـك بتاتـا ثم هجرتها ، من حسن الحـظ أنى تمكنت من الهروب منـك فى سن السابعة عشرة . ماذا كان يمكن أن يعطينى أب مثلك كان يضرب خدمه ؟ ومع كل فلا شك أنك فى بعض الأحيـان كنت تشعر نحـوى بحنـان غـامض أو بنوع من الفخر حينما كنت أحقـق نجاحا فى الدراسة وحينما جعلت السياسة منى طريدا منبوذا ، سياسة بلدك الملعونة ، جعلت منى أيضا طريدا منبوذا . كنت لا تستطيع أن تقـــاوم رأى المجتمـع ، مجتمعـك ، بالرفض أو بالقبول . ولكن كما ترى فقد انتصرت عليك . لأننى كنت أملك الشجاعة والحظ لكى أخالفك الرأى ولا أنصـــاع لك . كنت أنت المحظى ، محظى الماسونيـين والديمقراطيين ، واليســار واليمين ، والحكومات النازية، والحرس الحديدى والنظام الشيوعى .

الأب : أنا كنت عاقلا ، متواضعا .

جـان : لم تكن كذلك عن فلسفة وفكر . لم تكن كذلك عن فلسفة وفكر . وانما لكى تدبر أمورك ،

تمشى حالك ، وأخيرا فقد دبرتها كأسوأ ما يكون التدبير فى حياتك الخاصة ، مع زوجتك ، الثانية التى لم تستطع أن تتحملك والتى كانت تجعل حفيدتها تنام بينك وبينها حتى لا تمسها . البلهاء ذات الأقدام الضخمة . لم أقرك الا حينما علمت بعد موتك أنك كنت قد اتخذت لك عشيقة هى خادمتك الغجرية . وانى لأذكر أننى شاهدتك فى السينما بصحبتها ، عصر يوم من الأيام . وتظاهرت بأننى لم أعرفك . وكانت الشكوك قد بدأت تساورنى .

الأب : مثقل بالعمل ، ومكبل بشعور دائم بالذنب، لأننى لم أكن فظا غليظ القلب ، وبعكس ما تتصور كانت هى بهجة حياتى ، البهجة الوحيدة .

جمان : اشتريت لها أنت منزلا ، لم تعد تستطيع أن تستفيد منه ، فقد ماتت مثلك . خسارة لأن الثقة كانت معدومة فيما بيننا . والا لكنت قد قصصت على كل ذلك . ولكنت صحبتنى معها لكى نشرب معا . الشخص الوحيد الذى يمكن معاشرته من بين المحيطين بك .

الأب : دع اذن هذه الأمور . التى ماتت منذ بعيد، وحاول أن تتخلص من أحقادك نحو هؤلاء الأشخاص وعائلاتهم التى ماتت منذ زمن بعيد .

جمان : اذا كنتم تظهرون لى جميعا فى أحلامى فمعنى ذلك أن حقدى عليكم ليس كبيرا . المشكلة مازالت بلا حل . تقلبات وحروب فصلت بيننا . ولم يتمكن أحد من شرح وجهة نظره . لماذا آتى لأراكم فى الحلم ؟ أنت مت منذ زمن بعيد . ولن ألبث أن ألحق بك . ولكننى ساكون مع ذلك الابن ، حتى لو كنت فى الجانب الآخر ، ساجد مشقة فى الحضور لزيارتك ، فقد تحصنت أنت فى داخل المقابر الخاصة بزوجتك الثانية وأصهارك ، القراصنة ، هل هم فعلا قراصنة ؟ كانوا أغبياء شرسين ، سفلة ، ربما ليس أكثر من غيرهم ، وأنا سيكون لى قبرى مع قبر أمى ، واختى ابنتك . اللهم الا اذا كنت أنا وزوجتى بعيدين جدا مع ابنتى فيما بعد . ستكون فى بلاد أخرى اعتقدنا أنها أفضل . اعتقدنا أنها أفضل .

الأب : ستنقلب الأرض . كل شىء سيصبح رأسا على عقب ، وقد تقتل الأرواح بدورها ، ولم يبق أمامك من العمر الكثير ، فدعنى ألقى نظرة على أعمالك التى قمت بها ، على مؤلفاتك .

جمان : نعم سأريك هذا كله .

(ينهض . يتوجه نحو منضدة، يفتح الأدراج، يخرج منها أوراقا ، الأب يتبعه . الابن يفتح درجا ويخرج منه أوراقا) .

الأب : هذا كل شىء ، كراسات مبدوءة ، وأوراق غير واضحة ، لا شىء واضح ، لا شىء يقرأ . بل لقد حاولت أن ترسم بعض الأشكال . لقد سبق ان قلت لك انك غير موهوب فى الرسم . لا شىء واضح . هذا الذى تسميه انتاجك : حروف وحروف وأوراق قليلة وتوقيعات وتعتقد أننا يمكن أن نأخذ ذلك فى الاعتبار . لاشىء هناك يا بنى ، أنت لم تترك أية رسالة ، كل ما هناك أنك سطرت بعض الكلام التافه الفارغ والجمل المبتورة ولعلك تظن نفسك نبيا مرسلا ، شاهدا على العصر . لا توجد أية شهادة واضحة ، كل هذا خواء .

جمان : لقد تصورت فى وقت من الأوقات اننى انجزت شيئا ذا قيمة . ليس هناك شىء . لقد ادركت منذ فترة ان كل ذلك ليس سوى خواء ، كلام فارغ .

الأب : لا عليك ، لم ينجح أحد فى عمل شىء . العالم ليس خاضعا لمشيئة أحد . العالم خاضع لمشيئة الشيطان اذا لم يشأ الله أن ينتزعه من بين يديه . هو الوحيد القادر على أن يضفى معنى على الخليقة التى دنسها الشيطان ولطخها ودمرها . قد يتم اصلاح كل ذلك وعلاجه . وبذلك نستطيع أن نفهم شيئا .

جمان : سأقدم لك صديقتين من أصدقائى .

(سيدتان تدخلان) .

تأتيان فى أحلامى لكى تعرفهما وتضحكاك .

(السيدتان تجلسان على ركبهما على الأرض كل فى مواجهة الأخرى ، تمثلان له الديك والدجاجة : الأولى تصيح : « كوكو كوكو ! »

والثانية « قاق ! قاق ! » تستمران فى ذلك بعض الوقت فى حين يتحدث الأب والابن) ·

الأب : كلهما حياة وحيوية ، صديقتاك ·

جـــان : نعم ، كنت أعتقد أنك ستسر بهما ·

الأب : ما هذا ؟ كأنهما الديك والدجاجة · نعم ، هما كذلك حقا ، وليستا روحين أو شبحين ·

الحماة : اخرجا أيتها الدجاجتان والا جعلت ديكى يطردكما ·

(السيدتان تتوقفان) ·

لاتحضر دجاجا فى بيوت الناس الذين ماتوا منذ زمن بعيد ·

(من اليمين تصل سيدة أخرى تحمل مكنسة وتدفع الى الخارج بالسيدتين الدجاجتين اللتين تختفيان وهما تواصلان تمثيلهما) ·

ها نحن وحدنا مع أنفسنا ·

جـــان : (للسيدة الضخمة)

يجب أن تعالجى نفسك ·

الأب : هنا ، لا يوجد حزن ولا كآبة ، نحن فيما وراء الحزن ، فيما وراء الفرح ·

جـــان : انتم أشباح لها ذاكرة ·

جـــان (آخذا المرآة)

هذه مرآة جيدة · أتعرف ملامحى ، فعلا · ذبلت بعض الشىء ولكنها مع ذلك ملامحى ·

الأم : أنت لم تتقدم فى السن ، لم تتغير ، فمن السهل أن تتعرف نفسك ·

جـــان (وهو ينظر باهتمام أكثر)

نعم ، هذا صحيح· ملامحى هى هى· التجاعيد نفسها ، تجاعيد خلقية ولدت معى ، كنت الاحظها وأنا طفل صغير ·

أين نحن اذن هنـا ، نحن فى بوخارست ؟ هذا ما يبدو لى ·

الأم : نحن فعلا فى بوخارست ·

جـان : يبدو لى أنى أتعرف هذا المنزل ·

الأم : هذه شقة زوجة أبيك الثانية ·

جان : ولكن أنت، من تكونين ؟ يبدو لى أننى اعرفك منذ زمن بعيد ، ولكن من تكونين بالضبط ؟

هل أنت زوجتى ؟ هل أنت ابنتى ؟ هل أنت شقيقتى ؟ أنا متاكد أنك واحدة من هؤلاء الثلاثة·

أبى غنى كما تعرفـين ، وهو يعطيـنى مالا كثيرا ·

الأب : سوف نذوب ونتلاشى ، ليس على الفور ، حيـنما يـاتى الآخرون ، حيـنما تخلـو المدن والسهول ·

(نسمع فى الخارج صراخا ضعيفا ، طلقات رشاشات خافتة) ·

الأب : نعم ، نحن نســمع ذلك كله · ولكنـه لا يضايقنا ، نسمعه مكتوما · نسمعه فى السر ·

الحماة : ولكن أنا لم أقل كلمتى بعد ، لم أقلها طول حياتى· قلت غيرها كلمات كثيرة لم تكن كلماتى· مازالت كلمتى لم أقلها بعد · لم أقلها بعد ·

(جـان يدخـل من جهة اليمين · فى الوقت نفسه، سيدة تدخل من جهة اليسار· الشخصان

يلتقيان فى منتصف المنصة) •

السيدة : (من المفروض أنها الأم) : هذا أنت يا جـــان ؟

جـــان : أعتقد ذلك •

(يبحث فى جيبوبه ، يخرج بطاقة شخصية)•

حسب هذه البطاقة التى أحملها ، أعتقد أننى جـــان •

(يتطلع حـوله) •

لا أرى مرآة •

الأم : هذه مرآة جيب صغيرة •

الأم : أنت لم تستطع أن تكسب مالا بنفسك ، بشـعرك وقصـائدك • انها لا تسـاوى شيئا قصائدك هذه •

جان : لحسن الحظ ، أبى يدللنى • وأحيانا يكون قاسيا للغاية ، وأحيانا كريما للغـاية • لقـد أنفقت حتى الآن خمسمائة ألف فرنك وبقى مائة ألف ، وسـأطلب منه المزيـد إذا كان ما يزال متيسر الحال •

فى هذه اللحظة هو يدللنى •

(جان يتطلع حوله) •

لماذا يوجـد حجرات كثيرة فى هذا المنزل ؟ من الممكن للمرء أن ينام تارة فى هذه الحجرة ، وتارة فى تلك• وتوجد أطعمة داخل البلاكارات•

الأم : أنت تسرف فى الأكل ، تاكل دائمـــا ، سيزيد وزنك •

(جان ينظر فوق المنضدة) •

جان : ما هذه الكتب المكدسة هنا ؟ كتب قديمة ، قديمة جـدا •

(يأخذ أحدهـا) •

هذه حروف غريبة ، حروف هيروغليفية •

الأم : هذه كتب دينية ، باللغة الرومانية القديمة•

جـــان : لا أكاد أفهـم منها شيئا ، بل هى غير مفهومة بالمرة •

الأم : أنت نسيت اللغـــة الرومانيـة • نسيت الرومانية ، حتى الرومانية الحديثة •

جـــان : بلى ، أنا أعرف مع ذلك كلمة من هنـا وكلمة من هناك • هناك صلبان • مازلت أقرأ • أعرف كلمة « ملاك » •

الأم : لا تاكل جميع البرقوق •

جـــان : وهذه الأوراق ، أوراق اللعـــب ؟ يبدو لى أنها لمعرفة الحظ •

الأم : قلت لك أن تكف عن البحث فى البلاكارات وفى الثلاجة • كفى أكلا ، هذا يكفى •

(جان يعود الى المنضدة) •

جـــان : ما هذه اللفافة ؟

(يفتحها) •

أوراق مالية كبيرة ، وأوراق مالية أخرى •

الأم : هذه الأوراق المالية ألغيت • ليس والدك الذى أرسلها •

جـــان : لابد أنه خالى ارنست · يجب أن أسترد هذه الأوراق المالية ، فلم يعد لها قيمة ·

الام : خالك ارنست لا يصنع غيرها · أنت تعرف أنه لا ينصلح ، فهو غشاش ·

جـــان : لكى أسترد هذا كله ، يلزمنى أمـوال كثيرة ، أكثر مما أملك ·

الام : انظر ، هذه زوجة أبيك ·

(زوجة الأب تدخل من اليمين) ·

جـــان (لزوجة أبيه)

مدام ، يلزمنى خمسمائـة الف فرنـك لكى أدفع لخالى ارنست ديون أمى وعائلتها ·

زوجة الأب : يالك من عنيد ! · قلت لك مائة مرة قل لى هيلين ولا تقل لى مدام ·

جـــان : أنت تعرفين أننى لا أحب اسمك · ثم انك بالنسبة لى غريبة ·

زوجة الأب : اذا كنت غريبة ، فلماذا تطلب منى المال دائما ؟

جـــان : ساعيده لك ·

زوجة الأب : تقول هذا دائما ·

جـــان : أؤكد أننى ساعيد لك هذا المال مع ١٠٪ فوائـد ·

(يدخل رجل عجوز وسيدة عجوز · الرجل العجوز ان يتكلم) ·

جـــان (للقادمين)

أهلا يا جدتى ، أهلا يا جدى ·
(يقبلهما) ·

أماه ، لماذا صرت عجوزا هكذا · انك فى مثل سن جدتى مع أنك ابنتهما ·

الام : لقد بلغت سن والدى · فنحن نتقـدم فى السن أيضا فى العالم الآخـر · نصل الى العام المائة ثم نتوقف · أنت أيضا ستتقدم فى السن وتصبح عجوزا حينما تاتى عندنا ·

جـــان : أنا فى انتظار أبى ، فهو الذى يجب أن يأتى ليدفع عنك ديونك ·

الجدة : الدين لا يمكن أن ينتظر ، وأبوك لا يدفع شيئا · لابد من انقاذ ارنست · انه غارق فى ديونه · وعلينا أن نخرجه مما هو فيه ·

زوجة الأب : دائما تطلبون المال من زوجى (للأم) أنت لست زوجته ، لم تعودى زوجة له ·

الجـدة : ولكن جان ابنه ، وله الحق فى جزء من دخول أبيه ·

زوجة الأب : ليس له اى حق ، لأنه بالغ ·

الجدة (لزوجة الأب) : حتى حينما كان طفلا صغيرا لم يكن أبوه يريد مساعدته بسببك أنت · فقد كنت تمنعينه ·

الأم (للجدة) : دعك يا أماه من هذا · ولنكف عن الحديث فى هذه الموضوعات · سأحاول أنا ان أجد المال اللازم · سادبر الأمر ·

جـــان (للأم) : كلا ، يا أماه ، أنت لا ينبغى أن تدفعى شيئا · أنا فى انتظار أبى ، هو الذى ينبغى أن يحضر ليسدد الديون لتخليص خالى ارنست · وعلى أية حال فان هذا المال هو مدين لك به · ولم أشـعر بالأسى لأنـك طعنت فى السن على هذا النحو منذ أن هجرتنا جميعا ·

(تدخل سيدة) .

السيدة : ذلك أنها لا تشعر بالراحة هنـــاك . والا ، فمهما قالت ، فانها تبدو شابة فى مقتبل العمر . حينما يكون الانسان مرتاحا هناك فان الزمن يرجع الى الوراء . كذب ما تزعمه من أننا نتقدم فى السن فى العالم الآخر .

جـان (للام) : كيف السبيل الى ازالة تجاعيد وجهك وبث القوة والحيوية فى أوصالك ؟

الجـدة : يجب أن تتزوج أباك مرة أخرى .

زوجة الأب : أنا هنـــا فى دارى . فى بيتى .

لن يخرجنى أحد من هنا ولن يسلبنى أحد زوجى .

الزوجة (لزوجة الأب) : هو لا يحبك كثيرا . بل انه لم يعد يحبك بالمرة . هو الآن من المفروض أن يكون معه خليلته ، عشيقته الغجرية .

زوجة الأب : هراء ما تقولين . لقد اختار لنفسه ولى مقبرة واحدة . ولم يعد يحبها .

الام : ولا أنت كذلك .

زوجة الأب (لجان) : أنا صـــالحة وذات دين ، وسأساعدك بالرغم من كل شىء . ولكن لا تحاولوا أن تسلبونى زوجى . فلن تستطيعوا .

الزوجة : مادام هو الآن مع الغجرية ، فانها هى التى سلبته .

زوجة الأب : هو مع الغجرية للهو والتسلية . ولكننى أعرف مشاعره الحقيقية ، لقد اختارنى وهذا شىء لا عودة فيه (لجان) جميع أفراد عائلة أمك هم قوم من نوع آخر . كان ينبغى أن ينفصل عنهم . معى ومع اخوتى وأبنـــاء عمومتى يشعر أنه على ما يرام وأننا نتحدث لغة واحدة . وفى انتظار أبيك، وحتى أثبت لك أننى صالحة وذات دين . سـأعطيك خمسمائـة ألف فرنك . لن أعطيك سوى أربعمائة ألف وترد لى الباقى .

(جان يبحث فى جيوبه) .

جـــان : عجبـا ، لقد وجدت مائة ألف فرنك ، لم أكن أعلم أن معى كل هذا المبلغ .

الجـدة : هذه الأربعمائة ألف فرنك ، يجب أن تدفعيها من جيبك الخاص . فهى بعض ما سرقته من ابنتى . سنسترد بعضه .

الأم : لنكف عن التحدث فى هذا الموضوع ، فانه يسبب لى ألما شديدا لا طاقة لى به .

(يســـمع ما يشـــبه رنين الهاتـــف ، ولكن لا يوجد هاتف) .

الصوت : آلو جـــان ؟

زوجة الأب : يطلبونك فى الهاتف .

جـان : من يتكلم ؟ صوت مجهول لا يريد أن يعلن عن صـــاحبه .

زوجة الأب : ما هذه الأصوات التى تطلبك هنا كأنك فى بيتك ؟ هذا بيتى أنا .

الزوجـة : ان ما تســـمينه بيتـــك قد تم غزوه والاستيلاء عليه . انه ملك للجميع .

زوجة الأب : كل شىء هنـــا يخصنى مادام ملكا لزوجى .

جـان : لاشىء يخص أحدا ، أو كل شىء يخص الجميع .

الجـدة : مادامت ابنتى كانت أول زوجة لأبيك يا جان ، فان لنا الأولوية .

الصوت (لجان) : أمك وجـــدك وجدتك خرق

بالية . عجائز فقراء . فى حاجة الى كثير من المال، ثم لابد من انقاذ ارنست من السجن .

زوجة الأب : كلهم لصوص نصابون ، يالهـا من أسرة ! لقد أحسن زوجى صنعا اذ تخلص منكم .

الجدة (لزوجة الأب) : وأنتـم كذلك ، لستم أفضل منـا . على الأقل نحن لم نختلس حقوق الفلاحين . لم نؤذ أحدا . أخوك اغتنى من السرقة ومن أجـل ذلك فهـو موظف كبير . هذا ظـلم وسيعاقب الله عليه . وأخـوك ، قاتل ، حـكم بالاعـدام على الأبـرياء (لجـان) سـنأخذ الأربعمائة ألف فرنـك ونرحـل ثم تأتى أنت لتلحق بنا ، نحن فى انتظارك .

(الجد والجـدة والأم يخرجـون . الأم وهى خارجة ، لجان) :

الأم : اقبلك يابنى . ونحن فى انتظارك ، دون أمل كبير ، سوف نظل ننتظر الى مالا نهاية .

زوجة الأب : (بمجرد خروج الآخرين) :

كل هذا مهزلة بغيضة . كنت أتوقع كل هذا، ولكننى قوية ولن أتنازل . سأحافظ على زوجى وبيتى وثروتى .

السيدة : هذه أنانية مفرطة ، واستهتار .

زوجة الأب : لايهمنى .

(تخرج هى أيضا) .

جـان : (متمددا فوق اريكة) :

رائع أن يستريح المرء . وجميل أن نكون على قيد الحيـاة . عنـدى من المال أكثر مما كنت أتصور . بالاضافة الى هذه البذلة التى أرتديها، عندى ثمانى بذل غيرها . يعنى المجموع تسعة . وحوالى عشرة أزواج من الأحذية .

السيدة : أنت قمت ومازلت تقوم بأعمال عظيمة فى حياتك ، فاطمئن وكن راضيا .

جـان : ما أجمل أن يرتاح الانسان ! .

(ينهض فجأة) .

السيدة : انظر ، هذه حقيبتك ملأى بالأموال . كان ينبغى أن أقول أنـا لك ذلك . انك حتى لم تكن تعرف هذه الحقيقة .

جـان : وهذا سبب أدعى لكى أعطى منها للعائلة، لخالى ارنست . هو شخصيا لا يساوى شيئا ، لكننى لا أستطيع أن اتركه فى محنته ، ثم ينبغى أن اذهب لألحق بأمى وجدتى وجـدى . هل ما يزالون يسكنون فى شارع كلود تيراس ؟

السيدة : طبعا ، بل لقد أبرقوا لنا من هناك ، وارسلوا لنا بطاقات بريدية .

جـان : لا يوجد قطـار مباشر للوصول . فهل تعرفين الحافلة التى ينبغى أن أركبها ؟

السيدة : هناك عربة بجواد تنتظرك أمام الباب .

(تذهب الى أقصى المسرح وتنظر) .

بل عربة بجوادين وأخرى بثلاثة جياد .

جـان : هذا يكلف الكثير من البقشيش الذى نعطيه للسائق ، ثم لابد من وقت طويل للوصول الى الطرف الآخر من المدينة .

السيدة : سأذهب لاحضار سيارة أجرة .

جـان : هذا أجمل . ولكنك لن تجدى . فى هذا الحى لا يوجد موقف لسيارات الأجرة .

السيدة : قد أعثر على سيارة فى الحارات ، فى الأزقة . فهناك ركاب ينزلون من سيارات الأجرة والسائقون ليس لديهم ما يشغلهم .

جـان : السائقون يرفضون الذهاب الى هناك ، فهذه هى الساعة التى يعودون فيها لتناول الطعام . (السيدة تخرج) .

سيارة الأجرة صعبة ، صعبة ، هنا • الجميع لديهم سياراتهم • فيما مضى كان هناك الترام •
(يتوجه الى المنضدة) •

هذه الكتب كلها التى لا أفهم منها شيئا • لابد وأنها كتب تضم بين سطورهـا ما ينبغى عمله حينما نقبل على الموت أو لمن يكون قد مات حديثـا • ولكن هذا المكتوب هل هو صحيح ؟ انها كتب قديمة ، تجارب قديمة ، قديمة جدا • على أية حال أنا لا أفهمها ، فقـد نسيت اللغة • حاليا ، أنا غنى جدا • لا أملك فقط هذا المنزل • وانما أنا أسكن منازل عديدة • وفى كل منزل لى عدة أسرة ، أغـير سريرا كل ليلة • فأنا لا أحب أن أنام فى السرير نفسه •

★

(**الديكور** : نفسه) •

(الشخص نفسه جالسا فى كرسى موسد) •
جـان •

ماذا ؟

(وقفـة) •

(من جهة اليسار يدخل شخص (جان (١)) يشبه بطريقة غريبـة الجالس فى الكرسى • من جهة اليمين يدخـل شخص (٢) يشبه أيضـا الجالس فى الكرسى • ولا يتحرك أبدا ، ولكن يبدو عليه أنه هو الذى يتحدث) •

(من جهة اليمين فى الوقت الذى يدخل فيه الشخص من اليمين يدخل شخص آخر (٢) يشبه أيضا الجالس فى الكرسى لكنه عجوز • سوف يخاطب هو أيضا الشخص الجالس فى الكرسى • سنفهم بسرعة أنه أبوه • هو أكبر سنا وملابسه مشابهة ، لكن الداخل من اليسار هو الذى سيرد بدلا من الجالس فى الكرسى) •

(يجب أن نتوصـل الى طريقة لكى نجعـل المتفرج يدرك هذا الأداء المركب • ربما نجعـل الشخصين وبخاصة المسن (٢)، يخاطبان الجالس فى الكرسى) •

الشخص (٢) (للأب) : بعـد كلمتك الأخيرة ، تركت لك قرنا من الصمت • واخيرا ، هانت ذا !

هانت ذا الى الابـد ! هـل عثرت على ذكرياتك جيـدا ؟

جـان : كان لابد لى من وقت •

الشخص (٢) (للأب) : بالرغـم منى ، قمت بعمل ما أردت فى الحياة ، كنت أحلم لك بمستقبل آخر ، بوظيفة أخرى • موظفـا كبيرا فى السلك السياسى ، أو قائدا فى الجيش ، أو مهندسـا كيماويا • أنت رفضت طاعتى • أنا أعرف ، وأنا لا أحقد عليهـا ، أمك هى التى كانت تدفعك فى اتجاهات أخرى •

جـان : مازلت تحقد عليها ! ستظل تحقد عليها الى الابد • وطالما تحقد عليها فلن تدخل الجنة • لقد حضرت هنا • وجلست فى الكرسى الخاص بى لكى أجيب على أسئلتك •

الشخص (٢) (للأب) : لا ترهقنى ! يجب أن أعترف أنك نجحت فى حياتك العملية فى الدنيا ، فهل هذا سيفيد هنا ؟ لو كان هذا ممكنا ، لوجب علينا أن نبدأ من جديد • نبدأ من جديد ! ولكنك فى النهاية نجحت • نجـاحا باهـرا • رئيس أكاديمية ، ورئيس مدرسة أدبية ، تتعرض لهجوم كثير من الخصوم •

جـان : لا يمكن أن نحظى باعجـاب الجميع بالاضافة الى الوالد • كان لى دائما من الخصوم أكثر مما كان لى من المؤيدين والمجاملين • ولكن كنت أجد العون المفيد • أكبر النقاد ، أعظم أساتذة علم الجمال • لقد قمت بانشاء معالم من الأدب والشعر • لم يكن هناك من يفوقنى فى عصرى •

حينما كنت طالبـا ، كنت تدخـل حجرتى وكنـت تبحـث فى أدراجى • وكنـت تراقـب كراسـاتى كنت لا تجـد فيها سـوى رسـوم كاركاتورية بدلا من الواجبات المدرسية التى كان يفرضها على المعلمون ، الأساتذة • وكنت تجعلنى أراجع دروسى وأستظهرها لك عن ظهر قلب ، ولم أكن أعرف منها شيئا ، ومع ذلك فقد نجحت

فى الثانويـة • ومع ذلك نجحـت فى سـائر الامتحانات • وحصلت على جميع الدبلومات • لانهم • هـم ، أدركوا اننى عبقريـة • كانوا يعرفون أنه اذا كان ابى يشعر بالخجل منى ، اذا كنت أنت تشعر بالخجل منى ، وأنك كنت تحبسنى فى حجـرتى ، واذا كنت تخفى جميع كتبى الأدبية ، واذا كنت أنت تقـوم باحـراق مؤلفـات دوســتويفسكى وكافكا وكتب فلوبير وكيركجارد ، كنت أنا نفسى واحدا منهم ، كنت فلوبير وكنت كيركجارد •

كنت تصفعنى على وجهى • كنت تضربنى ، أما هم ، أساتذتى ، فكانوا لا يعبـأون بالأصفار التى أحصل عليها فى الرياضيات • هم ، كانوا يثقون بى ، وكانوا يعيروننى الكتب التى كنت أنت تحرقها بالنار • وكانوا يطلبون منى أن أقرأ فى الفصل مسرحيـات راسين وشكسبير خـلال حصص الفيزيـاء • وكان أساتـذة الفيزيـاء يغضون الطرف عن ذلك •

الآن أنا أصفى حساباتى معك وألومك على كل ما كنت تمنعـنى من عملـه ، أنت رب الأسرة الأعمى • أستاذ الكيمياء الذى كنت تحضره الى المنزل لكى يعدنى لامتحان الهندسـة الكيماوية كان يحضر لى فى السر الكتب الممنوعة ونسخا من لوحات ليوناردو دافينشى • لقد فررت منك ووجدت أصدقاء ساعدونى •

لقد حبستنى طول فترة مراهقتى • ولكنك لم تستطع أن تصنع شـيئا ضد رغبتى • كنت أنا الأقوى ، الأقوى •

الشخص (٢) (للأب) : أجـل ، يا بنى ، كنت تذهب بخاصـة عنـد أمك • هى التى كانت تساعدك فى حربك ضدى • لم تكن من حزبنا • وكان هذا هو سـبب سـوء التفاهم والخلاف بيننا • المفروض أنها ماتت الآن هى أيضا ، فى مكان ما •

جـان : كانت تشعر بالفخر من انتصاراتى عليك • ولكنها كانت تشـعر بالفخر بصفـة خاصـة من نجاحى • كنت أنا على حق •

الشخص (٢) (للأب) : فعلا ، هذا صحيح ، أنا اعترف • أنت حصلت على المجد • كنت شهيرا بين الاحياء • أقصـد بين المقبلين على الموت ، فهـل يتذكرك الموتى ؟ كنت مجهولا لهم • نعم ، نعم ، أنـا لا أسـتطيع ان أنـكر أننى كنت لا أؤمن بنجاحك ، كنت لا أؤمن بذكائك • كنت من جنس امك ولم تكن من جنسى •

جـان : كنت دائما ساخطا وعنيفا وكنت تضرب خدمك وكنت تشتم مستخدميك ومرؤوسيك •

الشخص (٢) (للأب) : لقد ماتوا جميعا اليوم ، ولم يعودوا يذكرون لا اعمالك المجيدة ولا عنفى وشدتى • لقد تساوت الخسـة والعبقرية ، ولكن ، كلا ! أنا أريد أن أتوب •

جـان : يجب عليك أن تتوب •

الشخص (٢) (للأب) : يجب أن أتوب • ولكن هل كان النظـام أسـوأ من الجنـون الذى جعلته أنت فى رؤوس الناس ؟ لم تعـد هناك قيمة لهذا ولا لذلك • ولا أحـد يكون خسيسا الى الأبـد • ان الأبدية تسـوى بين الجميع • كلا ، كلا ، يا بنى اننى أقول أى شىء لكى أدافـع عن نفسى • أنـت كسبت ، يـا بنى ، لسـت أدرى ماذا كسـبت بالضـبط ، ولكن مـن المؤكد انك كنت تتمتع باحترام وتقدير الكبار • كنت أرى عناوين مؤلفاتك فى المكتبات العامة وعند الباعة •

لم أقرأ شيئا منها كل ما أعرف عنها عرفته بالسماع • أصداء واشاعات ، أصداء ، أصداء • أما الآن وقد أصبح لدينا الوقت، فارنى ما صنعت حتى أعرف قليـلا وحتى تدمرنى هزيمتى أكثر وأكثر • وحتى أقدر مجدك حق قـدره وحتى يكون اعجابى بك عن معرفة ويقين •

جـان : ساريك هذا • كل شىء فى الأدراج كما كانت الحال أيام الطفولة •

الشخص (٢) (للأب) : أرنى ! أرنى يا بنى !

(منضدة فى مقدمة المنصة· الشخص الجالس دوق الكرسى الموسد ينهض · يتوجه ناحية المنضدة · يفتح أحد الأدراج ، ثم يفتح درجا آخر ، ثم درجا ثالثا) ·

جـان : ها هو ذا !

(يخرج من الأدراج أوراقا صفراء وكراسات ممزقة تتساقط فوق الأرض ويلتقط بعض أوراقها) ·

(الأب واقفا يتأمل كل هذا بنظرة تخلو من التعبير) ·

(جان يخرج أيضا أسلاكا حديدية ، وقطعا من الأسلاك الصدئة ، وكتابا للتدبير المنزلى وأشكالا كاريكاتورية قبيحة وخرقا بالية قذرة وأقلام رصاص غير مبرية جيدا وزجاجة حبر ينسكب ما فيها ويلوث المنصة) ·

جـان : هاك ، هاك كل ما صنعت !

الشخص (٢) (للأب) : هذا كل ما كنت تحتفظ به فى ادراجك اذ كنت طفلا صغيرا ·

جـان : لا أكثر ؟ هذا كل شىء ، أعتقد أننى نسيت أشياء فى مكان ما ، هذا كل شىء !

جـان : هذا كل شىء ! ولكن ما كان ينبغى لى أن اقتل نفسى من أجل ذلك · نعم يا أبى ، هذا كل شىء · أين الآثار التى خلفتها ؟ أين المجد الذى حققته ؟

(يفتح درجا رابعا ويخرج منه حفنة من التراب) ·

ها هو ذا ! أهذا أفضل من لا شىء ؟

الشخص (٢) (للأب) : هذا كل انجازك !

جـان : كل شىء معروض على بساط البحث والمناقشة· كل شىء خاضع للمراجعة والتمحيص·

(يعود الى كرسيه) ·

ولكننى سأواصل الدفاع عن الغرب ، عظمة العالم الاغريقى ومجده · الحرية التى تقلدها ايانا الكواكب الكونية ، الوجودية والعلمانية ، حق الاستنتاج ، المضاربة الغاليتنينية ، وشدو اللؤلؤ · الدفاع عن الغرب ، الدفاع عن الغرب ، رقص الطرب ، الحملة الايطالية وغزو روما ، والدفاع عن الغرب · وغرب الدفاع وأسنان الدفاع ودفاع الغرب، ودفاع الجمجمة ومسيرتى السياسية · ولائحة الانسان ، الثقافة والمعتقدات الشرقية ، الدفاع عن الغرب وأسنان الدفاع وسباع الأسنان ·

(ينهار) ·

★

(الديكور : شقة عتيقة ، حقيرة) ·

(الشخوص : السينمائى ، جان ، الجدة ، الـخ) ·

السيدة العجوز : جان ! جان !

(يدخل جان من أقصى المسرح) ·

جـان : نعم ، يا سيدتى ، هأنذا ؟

السيدة العجوز : أنا لست سيدة ، أنا جدتك · أنت لا تعرف أبدا اذا كنت جدتك أو الحارسة العجوز · تخلط بيننا دائما ·

جـان : سامحينى ، فهمومى كثيرة ، تملأ رأسى·

السيدة العجوز : وأنا ! فى مثل سنى ! ماذا أقول !

جـان : لا شىء يمنع أن تكون الجدة حارسة أيضا·

السيدة العجوز : المنتج الذى تنتظره ، المنتج السينمائى ، حضر ليقدم لك العرض الذى

يقترحه · سو شعرك قليلا ورباط عنقك · انه يعرض عليك ٢٠٪ من الأرباح ·

(تختفى) ·

(يظهر السينمائى من جهة اليمين) ·

السينمائى : اكتب لى السيناريو ولك ٢٠٪ مـن الأرباح عن الايراد وواحد تحت الحساب ·

جـان : يمكنك أن تعطينى النصف الآن · لعلمك، انا مازلت قـادرا على تقديم افكار قيمة ، لدى الكثير من الافكار المثيرة · لست عجوزا ، لابد وأنهم أخبروك بذلك · ثم ان هذا واضح ظاهر · فطالما الانسان يحلم فهو ما يزال شابا · آسف لأنى طلبت منك الحضور هنا فى هذه الشقة التى تضرب فيها الفوضى· فيما مضى حينما كنت أسكن هنا أنا وزوجتى وابنتى ، كانت الشقة تلقى الكثير من العناية · أما الآن ، فأنا لا أعود اليها الا من حين لآخر ، أنا بالذات ، فأنا لم أعد أسكن فى هذا الطابق الأرضى المظلم · أسرتى الآن فى الريف · وقد عدت أنا لبعض الوقت لكننى لا اقيم فى هذا السكن المظلم · انا لست خالى الوفاض وانما عندى خير كثير · شقتى فى شارع « باتيـه » أكبر من ذلك بكثير ، لكننى أقوم فيها ببعض الاصلاحات · وهذا هو سبب وجودى وتحديد لقائنا هنا · أنا فى حاجة لاكون فى باريس من آن لآخر ، فأنا أيضا أملك منزلا كبيرا فى الريف ولكنه بعيد جدا، حتى بالسيارة، عبارة عن قصر كبير امتلكه فى الريف ، قصر ، فيه العديد من الحجرات والصـالونات الحافلة بالأثـاث القديم · عندى أيضـا قاعة استقبال حديثة واسـعة جدا · كما أن عندى مساحات واسعة كثيرة أقمت فى بعضها قاعة مسرح ومنصة تمثيل بمدخل خاص للممثلين · عندى أيضـا مسطحات عليـا زرعت فيها بعض الأشـجار · وسيتعين على أن أقصها لتقصيرها حينما تصل الى السقف · لقد وصلت الآن الى ارتفاع كبير · كما أن هنـاك بحيرة صناعيـة ومع ذلك بقيت عندى مساحات شاسعة تحت الاعداد : مروج ومراع ، ولكننى لا أملك المال الكافى لاستغلال كل هذه المساحات · هذا يحتاج الى الملايين · ولعلى أحصـل على ذلك من هذا السيناريو · لا داعى لأن نطلـب مهندس ديكور لتصـميم الديكور · فالديكور موجود فى قصرى · كما أن هنـاك ما يكفى من بلاتوهـات وستوديوهـات لتصوير كل ما نريد ، ولكن يجب أن أحصـل على المال من السيناريو · اذا قمت أنا بتقديـم الديكورات وأماكن التصوير فيمكنك أن تعطينى ٣٠٪ ، ٤٠٪ ، ٥٠٪ ؟ أجل ، فينبغى أن أعتنى بقصورى ، ففى قصورى أجنحة يمكن أن تسقط وتنهار اذا لم أعتن بها · هنـاك بعض الأطلال والخرائب ، ولكن هذه الأطلال والخرائب لا يجب أن نمسـها ، لقد عملت خصيصا · طبعا أنت تفهم كل ذلك · يمكن أن نوقع العقد ·

السينمائى : ماذا ستكتب لى كسيناريو ؟

جـان : أولا ، الوصف · فيلم كامل · جاهز على التصوير ، جميع الفضاءات والجدران والأثاث وعشرات البحيرات الموجودة فيه · لن تحتاج الى تصوير خارجى ، مادامت جميع المناظر الخارجية موجودة بالداخل · لن نخشى من سوء الأحوال الجويـة ·

السينمائى : هذا كله الجو ، ولكن أين الفعل ، الأكشان · (تدخل السيدة العجوز) ·

السيدة العجوز : وصلت من الخارج · قمت برحلة ممتعة ، لكنها متعبة ·

جـــان : أهلا وسهلا يا جدتى ·

السيدة العجوز : هل أنت متأكد أننى جدتك ؟

جـــان : طبعا ، بالتأكيد ·

(للسينمائى) ·

عفوا ، يا سيدى ، هذه السيدة لست أدرى اذا كانت جـدتى أو أمى ، اذا كانت أمى فقـد تقدمت فى السن كثيرا ·

(للسيدة) ·

هل أنت أمى ؟

السيدة العجوز : مازلت فى انتظار المال ، مالى الذى تركته عنـد أبيك . مازلت أنتظره . أنت وعدتنى أن تطلبه منه . فهو مدين لى بهذا المال . ألا تجرؤ أن تذهب اليه ، هل أنت تخاف منه ؟ لقد تقدم بى العمر كثيرا وأنا أنتظر . لقد جئت مرة أخرى من الخارج على أمل أن يعطينى اياه ، لقد أصبح هو بفضل مالى من أصحاب المليارات .

جـان : (للسينمائى) : هذه أمى ، يا أستاذ

السيدة العجوز : لقـــد أمضينا أوقاتا جميلة . صحيح كانت هناك بعض الرطوبة لأن القبو كان تحتنا مباشرة . ولكن مع الفحم وغلق النوافذ سار كل شىء على ما يرام . أنا أحب المنازل القديمة المظلمة . مع زوجتك وابنتك كنا سعداء وكأننا طيور فى وكرها .

جـان : كيف تقدم بها العمر الى هذه الدرجة ؟ هناك تفسير ، كانت تنتظر المال من والدى . لكنه ليس تفسيرا كافيـــا .

(للسينمائى) .

هل تسكن بعيدا عن هنـا ؟

السينمائى : بل قريبـا جدا . فندق الكابيتول وليس الكوبول ، الكابيتول . أحـــد الفنادق الكبرى . أنا أنزل فى الفنادق الراقية .

جـان : هذا فندق حديث ، جديد جدا . يبدو أنه أنشىء على وجه السرعة ، لأننى لم أكن أعرفه .

السينمائى : ليس لى محل اقامة دائم .

السيدة العجوز (لجان)

حينما ينصرف الأستاذ ، تعال لزيارتى فى مقصورتى .

(تنصرف) .

السينمائى : أحب أن أعيش هنا وهناك ، أنتقل من فندق لآخر ، من مدينـــة لأخرى ، فى بلدان متفرقة . للوصول الى فندقى هنـــاك شارعان او ثلاثة شوارع قديمة وجميلة جدا .

(تتغير خلفيـة الديكور : نرى شوارع تمر وحدائـق) .

جـان (سعيدا على حين فجأة)

أخضر ، جميل ، والشمس ، ياالجمال الألوان! يا له من نور !

(لحظات تمضى على استعراض المنظر الطبيعى فى خلفية المنصة مع منازل رائعة وحدائق جميلة يتأملها جان فى صمت) .

السينمائى : أرأيت !

(ثم تظهر فى أقصى المنصـة أيضا ، شوارع اقل جمالا ، قذرة . النور الباهر اختفى) .

جـان : ياالخيبة الأمل ! مرة أخرى الحى الوضيع. ميدان سان كلو هذا ليس بعيدا جدا ، ولكن من العسير الوصـول اليـه بسـبب المرور ، لا يوجد سيارات أجرة ولا حافلات .

« الشخصان يســيران فوق المنصـة كأنهما يسيران فى الشارع) .

(تبعا لامكانات الاخـــراج ، من الممكن عدم عرض المنظر الطبيعى المذكور . يمكن الاكتفاء بضوء شديد ، ثم ضوء رمادى ضعيف) .

آه ! القصر المنيف !

(فعلا ، يبرز فى أقصى المسرح صورة قصر).

(الديكور يتغير : المنصة تنقسم الى قسمين : الجهة اليسرى ، حجـرة فـاخرة ولكن سقيمة الذوق . ثم فى الجهة اليمنى من الحاجز الذى يقسم المنصـــة : أسرة ، ثلاثة أو أربعة ، قذرة فوقها يتمدد أشخاص فى زى رسمى) .

السينمائى : هذه حجرتى .

جـــان : وفى الناحية الأخرى ؟

السينمائى : لماذا أنت مندهش! لم يعد فى الفنادق الحديثة التى ننشئها الآن حجرات خاصة بمعنى الكلمة . الشخص أو النزيل يفصله عن غيره نصف حاجز . ولكن النزلاء يعيشون فى هدوء . حاليا هم من صف الضباط . لم يعد من الممكن أن نكون وحدنا ، كل ما هناك من الممكن الحصول على بعض الخانات فى ركن من أركان الممرات . هذا لمنع الجواسيس .

(يصل من جهة اليسار أحد موظفى الفندق حاملا حقيبة) .

الموظف : الحقيبة يا سيدى .

(يخرج) .

جان : وكذلك تستخدم موظفا من الفندق فى حمل حقيبتك ؟ هذا شىء رائع .

السينمائى : هذه احدى الميزات النادرة التى يتمتع بها السينمائيون ، من بين ميزات أخرى ، ولكنها نادرة . سأتركك الآن .

جان : أنا أيضا فيما مضى كنت أسافر كثيرا وحدى أتنقل من فندق الى فندق ، بلا محل اقامة دائم فى جنوب فرنسا ، فى ايطاليا ، ايطاليا القديمة ، وأسبانيا ، أسبانيا الملكية .

(غطاء السرير يرفع فنرى فوق السرير سيدة ممددة) .

السينمائى : حذرا !

جان : هى ناصعة البياض !

السينمائى : حذرا . لا يجب أن تمسها . يمكنك فقط أن تشم رائحتها وتطالع صدرها . أتركك الآن .

(يخرج ويدخل رجل ضخم) .

السيد الضخم : أيها الفتى ، التأمل أرقى من التملك .

(تدخل سيدة) .

السيدة : عدت من رحلة طويلة . كنت قد سافرت منذ زمن بعيد وأنت حتى لم تكلف نفسك بانتظارى فى المحطة . مع أنى أرسلت اليك برقية . تنسى دائما كل شىء .

جان : واأسفاه ! . نعم أنا أنسى كل شىء .

السيدة : ذات صباح سوف تنسى أن ترتدى حذاءك وتخرج الى الشارع عارى القدمين .

جان : ومع كل فقد قمت برحلة جميلة !

السيدة : قمت برحلة جميلة . الجبال ، والسماء والبحر والبحيرات فى السماء والسماء فى الماء والأنهار كانت عذبة رقيقة .

(**الديكور** : الدور الأرضى فى شارع كلود تيراس الذى يتحول الى قصر هائل مثل قصر سبريزى ـ لا ـ سال) .

جان : كيف لا تكون هنا يا سيدى ؟ لقد عبرت الحى كله وجئت لزيارة أمى التى لم أكتب لها منذ زمن بعيد ، والتى لم أرها أيضا منذ زمن بعيد . لكن ، هى كتبت لى . وكانت هنا فى الفترة الأخيرة .

الرجل الآخر : لست أدرى عمن تتحدث . نحن حينما استأجرنا هذه الشقة كانت خالية . لم يكن بها أحد .

جان : أين يمكن أن تكون هى الآن ؟ أصبحت الآن بلا مأوى المسكينة !

السيدة : أنت ستسافر غدا صباحا ، يمكنك أن تنام الليلة هنا .

جان : لا أستطيع أن أقيم فى حجرة يشغلها شخص آخر .

السيدة : ولكن هناك سريران ، بل ثلاثة ، ستكون فى سرير وحدك .

جـان : في القصر ، في سيريزى ، اكتسبت عادة سيئة ، اذا شئت، كل شخص له حجرة خاصة .

السـيدة : ليس هذا في طاحونة لاشابيل أنتونيز .

جـان : بالضبط ، هنا كانت الطاحونة .

السيدة : عندنا ؟ في شقتنا ؟

جـان : نعم ، هنا . هنا بالضبط . على أيامي كانت تسكنها عائلة « لوانار » الأب باتيست والأم جانيت وماريا ، ألم تسمعى عن هؤلاء ؟ ممن اشتريت الطاحونة ؟

السيدة : لقد وجدناها مهجورة ، قمنا فيها ببعض الأعمال . كان يجب أن تعيدها الى حالتها . هنا تجد أفرادا عديدين في الحجرة الواحدة ، فنحن عمال كثيرون ، هنا ليست حياة القصور .

جـان : على أيامى أيضا ، في الطاحونة ، لم تكن حياة القصور . أما في سيريزى فكانت حياة القصور . وشتان . حتى الآن أنا لم استعد طمأنينتي تماما ، كان الخوف رهيبا . من يصدق أننى كنت أشعر بكل هذا الخوف ، قبل أقل من قرن ، هيه ، قبل أقل من قرن من الزمان . طيلة قرن تقريبا، كنت لا أدرى من أين جئت . كنت لا أدرى الى أين أذهب ، كنت لا أدرى أين كنت . ثم ، ولما أصبح الاستثناء عادة ، والشذوذ أصبح قاعدة ، قلت في نفسى لعلى أكون في بيتى بالرغم من كل شىء .

كلا، كلا . ليس دائما . بل أحيانا ، في لحظات معينة . ومع كل فقد كنت أعتبر الحلم حقيقه .

رحت في دوامة الأشياء . كانت لى مهنة اتخذتها هواية . كنت أعمل لكى أنسى الخوف . ولكن ، شعرت بأنى في بيتى منذ لحظة معينة ، كانت هناك أشكال ، هناك أشياء في الفضاء ، وفجأة اتخذت الأشياء أشكالا مخيفة ربما لكى تذكرنى بأننى لم أكن في بيتى . فأين كنت اذن ؟ كان الكرسى أفعوانا برأسين ، وخزانة الملابس كانت شيئا يشبه البحيرة . بحيرة غريبة ، ما سر كل ذلك ؟

السيدة : هنا ، كما ترى ليس عندك سوى كرسى هو كرسى وحسب ، ومنضدة . يمكنك أن تضع يدك على المنضدة فهى صلبة ، يمكنك أن تلمسها .

جـان : فعلا ، هذا كرسى ولكنه لا يشبه الكرسى نموذج لكرسى ، كرسى نموذجى ؟ الكراسى المزيفة كانت هناك ، كانت عبارة عن اشباح كراسى ، ولعلها لهذا السبب كانت تتخذ أشكالا مرعبة او عجيبة أو وحشية . لقد كان الخوف الشديد يتنابنى من الفراغ الأسود ، من نفق مظلم أهوى فيه ، وأسقط سقطة لا نهاية لها . ولكن الامر لم يكن كذلك ، هذا لم يكن كذلك ، أنا لا أصدق عينى ، هذا كرسى حقيقى ، كرسى أصلى . وهذه المنضدة منضدة أصلية ، أشعر أن كل هذه الاشياء حقيقية . ان وجودها يكفى للايمان بخلودها ، بواقعيتها . أما هناك ، فان الوجود المادى لا يبدو الا مظاهر وتخيلات . أنا هنا أشعر أننى أحسن حالا . أشعر أننى في الواقع والحقيقة . ولكن هل هى فعلا حقيقة ؟ من المؤكد أننا نشعر أننا أحسن حالا ، أنا شخصيا أشعر أننى أحسن حالا . ولكن هل هذا هو كل شىء ؟

السيدة : نعم ، تقريبا .

جـان : اذن ، هى التقريبية ؟ لماذا تقريبا هذه ؟

السيدة : عليك بالهدوء لكى تعثر على أرواحك شيئا فشيئا .

جـان : هذا لا يشبه باية حال من الأحوال العيادة الطبية ، لا يوجد عيادات عندكم ، أليس كذلك ؟ من المؤكد أننى في مكان آخر . لا يسعنى الا أن أقول واكرر القول بأننى سعيد ومندهش لأن هذا يتم بشكل طيب وأنه لم يكن هناك هاوية

مظلمة ، لجة بلا قرار . لم أشعر في أية لحظة بدوار السقوط . لم أتقدم سوى خطوة واحدة ، فاذا بباب ينفتح لم يكن ظاهرا للعيان . وقد سحت في العالم مئات الكيلومترات ، آلاف الكيلومترات ، والآن . لكي آتي الى هنا ، انفرج أمامي باب او تراني دخلت من احدى النوافذ أو من خلال سطح زجاجي . حدث ذلك على غير علم مني . وهذه هي الرحلة الكبرى ، أكبر رحلة . ولكنك تقولين لي ان هذا العالم ليس حقيقيا الا بشكل تقريبي . ليس حقيقيا الا بالتقريب ، فأين الحقيقي اذن ، أين الحقيقي تماما ؟

السيدة : الهواء النقي الصافي ، الهواء الحقيقي تماما بدأت تشمه هنا منذ الآن . ومع ذلك فهناك مجرد المدخل ، المدخل الحقيقي الذي لايتحرك . يجب أن أصحبك الى أبعد من ذلك وأسير بك قدما . لا تخف ، فهذا شيء لا يخضع لقياس ، لا بالطويل ولا بالقصير ، ولكن أن أصحبك مع قوم آخرين .

جان : كان ذلك يراودني ، فأنا أعرف من سالقي ، أليس كذلك ؟

السيدة : نعم أنت تعرف .

(السيدة هي صاحبة المنزل ، يبدو عليها سيماء القروية المزارعة) .

(الشخوص : سيدتان : السيدة سامبسون حماة جان ، وارليت زوجة جان وربما شقيقته أحيانا) .

السيدة سامبسون : أو السيدة الأولى :
لاتستطيع أن تنكر أن هذا يتحرك بلا توقف .

ارليت : أو السيدة الثانية :

لقد حشرنا في وكر زنابير رهيب !
(تضحك) .

السيدة سامبسون : لو لم تكن هناك عائلة زوجتي .

ارليت : نحن في وضع تعس ! لو سألوني رأيي لما وافقت .

السيدة سامبسون : حركة دائمة وفي الوقت نفسه لايتحرك .

ارليت : يتحرك ! لو أمكن ان يكف عن الحركة . ثم دائما الحركات هي هي ، بصورة دائرية الحركات هي هي .

السيدة سامبسون : حينما أموت . أوه يا الهي !.

ارليت : أتوقع دائما وقوع كارثة . وأتساءل كيف يمكن تجنب ذلك ! لو أن الأرض تنفطر !

السيدة سامبسون : اني أسمعهم ، اني أراهم . يتحركون ، وكذلك يتكلمون على ما يبدو لي ، ولكنني لا أفهم قولهم .

ارليت : أين يمكن أن نذهب اذا انفطرت الأرض؟ في الحفرة ! سنسقط في الحفرة قبل أن تنفطر.

السيدة سامبسون : قال لي بعض العلماء والقضاة وكبار الضباط ان القمر يمكن أن يقترب منا ويلتصق بالأرض .

ارليت : بل نحن الذين سنذهب الى القمر .

السيدة سامبسون : حينما أفكر في ذلك تصيبني الرعدة . فأين نختبيء ، يا عزيزتي ؟ أين نذهب؟

ارليت : يوجد مكان في غابات الاستبس الروسية ، في سيبيريا .

السيدة سامبسون : مكان لنا ؟

ارليت : القمر .

السيدة سامبسون : قبل ثلاثة أرباع قرن سقطت صخرة ضخمة ، عبارة عن جبل شاهق ، في أغوار

سيبيريا ، فأحدث حفرة هائلة ، لكن الكوكب تحمل الصدمة .

ارليت : الناس فى أوروبا لم يسمعوا شيئا .

السيدة سامبسون : لو كان هذا أحدث صوتا كصوت الرعد ، فقد اعتقد الناس أنه الرعد .

ارليت : لم ترد اية اشارة لذلك فى أبواب الحوادث .

السيدة سامبسون : والدة جدتى سمعت بذلك . ولكن الرقابة سرعان ما فرضت الصمت فلم نجد أى صدى لذلك فى الصحف .

أرليت : من له مصلحة فى اخفاء كل ذلك عنا ؟

السيدة سامبسون : لعله الشيطان !

ارليت : أو بعض أعوانه !

السيدة سامبسون : اتفقوا فيما بينهم .

ارليت : لا نستطيع أن نعرف شيئا . كل هذه افتراضات .

السيدة سامبسون : هنـاك الأرض ، هنـاك النجوم ، فأين يتوقف كل ذلك ؟

ارليت : يجب أن نفعل مثل كلبتنا الصغيرة . لا ترهق نفسك بالسؤال .

السيدة سامبسون : نعيش كالكلاب !

ارليت : كل هذا يصل حتى السماء .

السيدة سامبسون : والسماء تعود علينا . تحيط بنا .

ارليت : والسماء هل هى بعد النجوم ، وراء النجوم ، أم هى موجودة وسط النجوم ؟

السيدة سامبسون : لابد ان هذا يمثل عالما آخر .

أرليت : وهذا العالم لابد أنه أكبر من عالمنا لكى يحتوينا ويضمنا .

السيدة سامبسون : أشعر بالرعدة من جديد حينما أفكر فى ذلك . هذا العـالم المحفوف بالأسرار .

ارليت : يبدو أن الحياة كانت ستكون مستحيلة ان لم تكن هنـاك الأسرار والمخاوف والفزع والرجفة .

السيدة سامبسون : قد أسقط فى الحفرة . لن أحاول توجيه مثل هذه الأسئلة . ولكن هل ترانى سأرتعد فى برد الأرض ؟

ارليت : هنـاك مقابر نتعهدها بالصيانة والعناية .

السيدة سامبسون : لابد من انجاب أبناء يتولونها بالرعاية والصيانة . أنا سيكون لى وريثة سوف تصلى وتضع الزهور .

أرليت : وريثة ! بأموال حمى (صهرى) .

السيدة سامبسون : هذا من حقى ، فهو زوجى .

ارليت : لست أدرى اذا كان جـان والقانـون على اتفاق .

السيدة سامبسون : زوجى فوق القانون . هو الذى يهيمن على القانون .

ارليت : لا أحد أقوى من القانون .

السيدة سامبسون : الا اذا غيرناه . وسيغيرونه .

ارليت : أنت أنانية . من سيرعى مقبرة جان ؟

السيدة سامبسون : لديه أبناؤه . ابنا عن ابن . وهكذا حتى نهاية العالم . بعد ذلك . ستفتح

جميع القبـــور ، ولن يكون هنـــاك ضرورة للعناية بها .

ارليت : هناك قبور تعود الى ألف عام ، وما تزال تبدو نضرة كل النضارة . وهناك قبور لا يزيد عمرها على ستة أشهر لكنها أصبحت قديمة ذابلة .

السيدة سامبسون : وهكذا نظل نتنقل من ارث الى ارث حتى النهاية .

ارليت : انت لا تستحقين هذا الارث .

السيدة سامبسون : لماذا تريدين حرماني من هذا النوع من .

ارليت : الخلود ؟

لماذا تريدين حرمان الآخرين منه .

السيدة سامبسون : هذا هو الصراع . الكفاح من أجل الحياة . وسأكافح .

ارليت : ونحن أيضا سنكافح ، بكل قوانا . ان نجوم المذنبات يمكن أن تصطدم بالقبور ، يمكن أن تفجرها بكل ما فيها .

السيدة سامبسون : ويمكنها أيضا أن تحمـــل القبور الى الفضاءات .

ارليت : لن اترك لك هذه الفرصـــة . سامنعها عنك أنا وجان .

السيدة سامبسون : سنرى لمن تكون الغلبة .

ارليت : سأمنعها عنك .

السيدة سامبسون : لن تستطيعي .

ارليت : بدأت حديثـــك بقضايا الحياة الكبرى ومشكلات العالم والأرض والسـماء لتصـل فى النهاية الى حكاية وضيعه تتعلق بالارث . حكاية ارث وضيعة . أنت مسكينة ! أنت بلهاء ! .

السيدة سامبسون : ما أنت الا مدعية كاذبة .

ارليت : أنت كاذبة ومنافقة وبلهاء .

السيدة سامبسون : لن أستسلم لكم .

ارليت : وكذلك أنا وجان لن نستسلم .

(السيدة سامبسون **تخرج**) .

ارليت (وحدها) : كلا ، **لن نستسلم ! هل هذا صحيح ؟ مع جان الذى لا يهتم بشىء ويدع الأمور بسبب التعب أو بسبب تشككه ، هذا غير أكيد .** حينما تمتلىء الأرض بالمقابر عن بكرة أبيها ، فاين سنضع **الأموات الآخرين ؟ سيتوجب علينا أن** نحرق الموتى الآخـرين . **وسيخلف ذلك كميات** هائلة من الرماد . **فأين نضع هذا الرماد ؟**

★

(**الديكور : محطة حافلات**) .

سيدة : لم يصل بعد ، لكن الجو جميل ، بوسعنا أن ننتظر .

الرجل العجوز الساذج : لحســن الحظ أن معى مظلتى مع هذا المطر الذى لا ينتهى .

جـــان : الجو جميل .

شيخ : أنا راض مستسلم .

شيخ آخر : أنا لا أقوى على الاستسلام .

سيدة : الشبان ليسوا أسعد حالا منا .

جـان : انا أحب هذه المدينة ، مع نهر السين على شاطىء نهر التايمز .

الرجل العجوز : هل نجحوا فى شق القناة ؟

الشيخ الآخر : أنا كنت أول من ضرب أول معول قبل سبعين عاما . القناة لم يتم شقها بعد ولكن المياه تختلط بفضل التلوث .

سيدة عجوز : ان التلوث هو الذى يجعلنا نعيش، ولكن يالهـا من سحب ! • بفضل هذه السحب انتقلت مياه السين الى التايمز •

السيدة الاخرى : والعكس بالعكس •

سيدة : انا احب الحاملات التى تشبه المترو •

السيدة الاخرى : ما أعظم ما أنجزه البشر ! فى عصر الكهوف لم ينجزوا مثل ذلك •

سيدة : كانوا فى ذلك الوقت اقل علما وثقافة ، فالتعليم لم يكن اجباريـا •

السيدة العجوز : اجبـارى أو غير اجبارى ، هذا لا يغير فى الأمر كثيرا •

جـــان : نحن محاطون بالغـــابات والبحيرات والجبال • مما يجعل الجو جميلا !

العجوز الساذج : يا لها من زوبعة ! لقد تكسرت مظلتى •

السيدة : هذه شمسيتى بدلا من مظلتك ، وبذلك يصبح الجو أجمل •

السيدة العجوز : أنا احب المطر •

جـان : حقا ، ما أجمل الجو ! جو يغرى بالغناء • (يغنى) •

سيدة (بعد أن استمعت للاغنية)

حينما تبدأ لا تنتهى ، هذا الغناء يثقب أذنى • زوجى أيضا عنده قيثارة •

السيدة الاخرى : هذا لا يفيد فى احضار الترام•

جـان : هذا ليس تراما ، هذه حافلة ، حـــافلة بالسيدات الجميلات وبالزهور •

الشيخ : انـا راض مستتســـلم لكل شىء •• ابن الوطن •

الشيخ الاخـر : انا لـن أستسلم أبـــدا • ان اغراءات الشيخوخة اقسى من اغراءات الشباب •

السيدة : هذا صحيح أيضا •

السيدة الاخرى : الكل فى الكل وبالتبادل •

جـــان : هل تعرفون « أغنية المخصوص » •

الشيخ : انا كنت أعرف « أغنية الأنصار » •

السيدة : ســـيان •

(**آنسة** ، تصل مسرعة)
اللبان ، اللبان ، اللبان •

العجوز الســاذج : الجو جميـــل منذ أعطيتنى شمسيتك ، وهذا لا يعجـــل بوصـــول الترام ولا حتى الحافلة كما تقولين •

السيدة الاخرى : اذا لم تكن الحيـــاة فى غـلاء مستمر • واذا زادت المرتبـــات لزادت الأموال بالتأكيد فى الخزائن •

العجوز الساذج : ومـع ذلك فالدولة ستستولى على كل ما فى الخزينة •

جـان : أنا عندى خزينة (حصالة) ضـخمة ، أربت فوقها ، لاشىء بالداخـــل ، فأسمع رنين الفراغ ومع ذلك فهى مدخراتى •

العجوز الساذج : عرفت فى شبابى شيخا يابانيا ليس عنده حبال ولا أقواس ، ومع ذلك فقـــد كان مقوس الظهر •

الشيخ : أنا أبيع الأقواس والســهام والأطباق ولا أحد يشترى الا لكى يحطمها مما جعل أسعارها ترتفـع •

السيدة : منذ أن اعطيت شمسيتى بدأت السماء تمطـر •

العجوز الساذج : وأنا منذ حصلت على الشمسية والجو جميل مشمس ، لكن الشمس تضـــايق عينى ذلك لأن الشمسية بها ثقب ·

الشيخ : لكى تسدى الثقوب ضعى ثقوبا أخرى فى الثقوب ·

جـان : أنا أفضل أن يكون هناك جمال ، بشرط أن يكون الجو جميلا ، وأن تكون المدن جميلة · أنا لا أضيق بالحياة ·

الجميع : (الواحد تلو الآخر) ·
هذه هى الحافلة ، هذه هى الحافلة ·

العجوز الساذج : لقـــد تأخـــرت كثيرا هذه الحافلة ، وليس هذا هو الذى سـيطيل سنوات العمر ·

(يهرولون ويندفعون جميعا داخل الحافلة التى تجتاز المنصـة وتختفى فى خلفيـة المسرح اليمنى) ·

الآنسة : (وهى تصفق)

هذه ليست حافلة حقيقيـة ، ليست جافلة حقيقية ، سترينا أراضى مجهولة ·

العجوز الساذج : ليست هنـــاك أراض مجهولة منذ اكتشاف القطب الشمالى ·

السيدة : هناك أقطاب شمالية أخرى ·

الشيخ : هذه هى الأقطاب الشماليـة ، الأقطاب الشمالية الخاصة بتجلى الالوهيـة · أنا أعرفها جميعا وسحقا لها جميعا ·

الآنسة : لا تكن سوقيا مبتذلا · أنا تربيت على مبادىء أخرى · لم أقتل أحدا بعد ·

(يمكن أن نضع جان بين الشخوص · كما يمكن أن نضع شابا لا علاقة له بأحد) ·



(الديكور : حجرة متواضعة · الحجرة معتمة · نرى فوق جدار أقصى المسرح نافذتين تطلان على الشارع · أشـباح تمر · داخل الحجرة يوجد مرتبتان على الأرض ، وكرسى ومنضدة ، وكرسى موسد قديـم وكرسى هزاز · سيدة طاعنة فى السن فوق الكرسى الهزاز · نرى الشخص يمر خلف جـدار أقصى المسرح · بعد لحظة نسمعه يطرق البـاب) ·

السيدة العجوز : من هناك ؟

جـــان : أنا جان ، ابنك ·

السيدة العجوز : ما كنا نتوقع حضوره هذا · ادخـــل ·

(جان يفتـح البـاب) ·

انتظرت كثيرا قبل أن تقرر الحضور ·

جـــان : صباح الخير يا أماه ·

السيدة العجوز : منذ زمن بعيـــد لم نتقابل · أنا لست أمك · أنا جدتك لأمك ·

جـــان : هل أمى على قيد الحياة ؟

السيدة العجوز : نعم · هى الآن فى الشغل · لقـد عدنا منذ سـنتين الى باريس · أنـا وأمك فقدنا الأمـــل فى حضـــورك ، وهى كفت عن الانتظـار ·

جـــان : ما يزال فى حيكم منازل قديمة ممتازة بحدائق صغيرة · عندى ظروف مخففة ، لقـد حاولت الحضور عدة مرات · كنت فى الشارع لكى أحضر لزيارتكم · الواقـع أن الشارع لم يكن الا زقاقـا ، طريقـا مسدودا ، فاضطررت للرجـوع والدوران ، واجتزت شوارع أخـرى كانت كلها أزقـة · حاولت الحضـور أكثر من عشرين مرة على الأقل · وفى كل مرة أجد أمامى منزلا أو جدارا يعترض طريقى مما جعلنى أصرف النظر · ثم كررت المحاولـة يوما آخر ، فتكرر

ما حدث في المرات السابقـة · أزقـة وجـدران وسياج عالية تحول دون المرور · وقد نجحت هذه المرة في الوصول اليكم · فقد مررت من باب للخدم بعد أن اضطررت للدوران · وهكذا عثرت على بـاب الخـدم والطـريق الذي يفضي مباشرة الى شـارعكم · لست أدرى ان كنت سأتمكن من العثور على باب الخدم الذي سأمر منه للعودة الى بيتي · هل أستطيع قضاء الليل هنا ؟ ولكنني كنت أخشى دائما ألا أرى أمي على قيد الحياة · الآن أنا عرفتك · أنت جدتي ·

السيدة العجوز : لقد انتظرناك طويلا ·

جـان : نعم · كيف تعيشون ؟ لقد أحضرت لكم معي بعض الأطعمة ؟ هذا جوال ملىء ·

(يرفـع الجوال من فوق ظهره ويضـعه على الأرض) ·

انظرى ، هذه فواكه ، وخضروات وزهور ·

السيدة العجوز : أمك وجدت عمـلا في أحـد المصانع · وانا اعمل حارسة في هذا المنزل · وكما ترى · فقد استطعنا أن ندبر أمورنا بدونك ·

(الأم تدخـل) ·

جـان : أماه ! أماه ! لماذا لا يبدو عليك الاكتراث هكذا حينما ترينني ؟

الأم : اهذا أنت ؟ لم أعد أعتمد عليك ·

السيدة العجوز : ومع كل ، فان أمك موجودة في المدينة التي تعيش أنت فيها منذ سنتين ، حوالى سنتين · بل وحتى في الحى الذى تقطن أنت فيه تقريبا · ومع ذلك ، تحضر · مع أنني أخطرتك ببرقية ·

الأم : لقد انتظرتك ، وانتظرتك ، ثم وطنت نفسي وقنعت بنصيبي ·

جـان : (للأم) : كم تغيرت يـا أمي ، كـم تغيرت ! · أصبحت كلوح من الخشـب · اذا كنت لم أتمكن من الحضـور قبل ذلك فلأنني كان يجب أن أنتهي من دراساتي · عمرى الآن تسع وعشرون سنة ولم أحصل بعد على شهادة الليسـانس · كان بودى أن آتي اليك لأريك شهادتي ، وأخيرا قررت أن آتي بدون شهادة · وكما قلت لك لم أكن أعثر على الشارع ·

الأم : ومع ذلك فقد كنت تسكن هنا حينما كنت طفلا صغيرا ·

(خيال يمر نراه من النافذة وفي اللحظـة نفسها تقريبا يسمع طرق على الباب) ·

جـان : هذا لابد أنه أبي ·

الجـدة : هو لم يأت هنا أبدا ·

الأم : منذ أن تزوج مرة أخرى لا يأتي لزيارتنا · فهو يخاف من زوجتـه ·

(الباب يفتـح ، يدخل رجـل في الخامسة والخمسين) ·

الأب (للسيدتين) : الذنب ذنبك أنت اذا لم يكن أكمل دراسته · كان طوال وقتـه يفكر فيك · لم يكن يفكر الا فيك ·

الجـدة : (للرجـل) : أنت الذى كنت تمنعه من المجئ ·

الأم : ليس ذنبنا اذا كنا ما نزال على قيد الحياة · الآن تستطيع أن تحتفظ به ، ابنك ·

الأب : هو مجنون · فيه ثغرات غريبة ، فقد ادى امتحانـات المواد الأولى من شهادة الليسانس وكذلك المواد الأخـيرة · لكنه لم يؤد امتحانات الوسط ، وهذا هو ثقبه الكبير ·

(من أحد الأبواب على يمين المتفرجين تدخل الأخت وهى تبدو فى مثل سن الأم) .

الأم : (لجان) : هذه اختك .

الأخت : أمى هى التى تعولنا أنا وجدتى (للأب) لا أنت ولا جان أرسلتما الينا مليما واحدا .

الأب : ذلك لأننى حزين جدا بسبب عقوق جان .

الأم : (لجان) : جدتك قالت لك ذلك . يمكنك أن تعيش هنا ، اذا كنت لا تستطيع أن تعيش عند أبيك ، فأنت تعرف الشقة .

جـان : سبق أن رأيتها فى الحلم .

الأم : (لجان) : توجد حجـــرة لك فى الطابق الأول .

الأخت : يجب أن تصعد السـلم الخشبى ، هناك حجرة تعرفها جيدا ، طويلة جدا ومعتمة بالقرب من حجرتى ، هى ليست مريحة كل الراحة .

جـــان : أعرف ، ليس فيها الا طاقة صغيرة فى آخرهـا . لكننى مع ذلك سعيد لوجود مكان أسكن فيه .

الجـدة : فى انتظـار أن تنتهى من دراســتك وتستطيع أن تتزوج وتحصل على سكن أفضل .

الأب : هو لا يصلح لشىء ، لن يحصل على مركز مرموق . لن يكون محاميا مثلى .

جـان : هذا ذنبى . هذا ذنبى . أعرف أن فى مثل سنى ، على أبواب الثلاثين ، كان من المفروض أن أكون قد انتهيت من دراستى . لا أعتقد أننى سأتمكن من الانتهاء منها، ليس بى راس لذلك. المسرح وحده هو الذى يشغلنى .

الأب : لن أعطيك مليما واحدا .

الجدة (لجان) : أمك هى التى ينبغى أن تستمر فى العمل ، والتعب ، ولكنها لن تستطيع أن تظل تعمل ذلك طول حياتها .

جـان : وأنا لا أستطيع أن أعاونها الآن فى اى شىء.

الجدة (لجان) : لن تستطيع أن تعاونها فى اى شىء كان .

جـــان : ما العمل ، ما العمل ؟
(يعض على يديـه) .

الجـدة : يشعر أنه مذنب ، ولكن هذا لا يفيد فى شىء .

الأخت : أنت خلقت لكى تعيش على حســـاب الآخرين .

الأب : احتفظن به اذا شئتن .

(الديكور : حجرة واسعة . فى جهة قاعـة اســتقبال برجوازية : ثلاثـة كراسى وثيرة ، أريكة ، منضدة صغيرة ، مصـباح غـاز فوق المنضدة . فى أقصى المسرح مدفأة طراز قديـم ومرآة كبيرة . فى الجهة الأخرى شبه عنبر به أربعة أسرة خيام . فوق الأريكة . سيدة فى حوالى الخامسة والأربعين متمددة . ترتدى ثوباً أسود وعقـدا كبيرا . السيدة على درجـة من الجمال السوقى الى حد ما . فوق مقعدين بدون ظهر وفى مواجهة مارجريت سامبسون ، يوجـد جان ، ورجل فى شرخ الشباب وليديا) .

السيدة سامبســـون : هانـت ذا ياجـان . كنت أعرف تماما أنك ستعود الى « بامبليون » . اذن لم تعد تحتقرنا مادمت فى حاجة للمال . كان أبوك يرسل اليك المال بانتظام وبكثرة .

جـــان : انه أبى يا مدام سامبسون . هذا شىء طبيعى للغاية . واذا كنت قد تشاجـرت معه ، فقد كان ذلك بسببك أنت يا مدام سامبسون .

السيدة سامبسون : كنت دائمـــا تـرفض أن تدعونى بالخالة مارجيريت ·

جـــان : أنت لست شقيقة أمى ·

السيدة سامبســـون : كنت تـرفض أن تقول لى يا خالة (يا تانت) فهكذا ندعو زوجة الأب · لم أطلب منـك أن تدعـونى أمك ، ولكن ليس أيضا مدام سامبسون ·

جـان : ليس هذا سببا فى جعل الناس ومنهم أنا يعتقدون ، أن أمى ، أمى الحقيقية ، ماتت ·

السيدة سامبسون : أبوك هو الذى اراد أن يقنع الجميع بذلك ، ويقنعنى أنا أيضا ، وبخاصة أنا ، ليتمكن من الزواج منى · ان شقيقى كانا يرغبان أن أتزوج رجلا أرمل ، وليس رجلا مطلقا · ومع كل فأنا لم أصدق موت أمك حقا · هل هى ما تزال على قيد الحياة ؟

جـان : المفروض أنك تعرفين ذلك· حينما تركتها كانت تسـكن فى بامبليون ، وقد كتبت لها · ولكن الحرب قـامت فلم أعـد أعرف شـيئا من أخبارهـا · وأنـا أطلب منك الآن أن تخبرينى بالحقيقة · هل هى ما تزال على قيـد الحيـاة أم لا ؟

السيدة سامبسون : لقد لمحتها قبل سنوات · من يدرى كيف أصبحت الآن · كانت تسكن فى الأحياء الشعبية · فى منزل منخفض ، من حجرة واحدة معتمة ورطبة ·

جـان : فى كوخ بطبيعة الحال · فى حين أنـك تسكنين قصرا · على العموم المدينة صغيرة ولابد أنك تكونين قد قابلتهـا مصادفة أثناء نزهة من نزهاتك ·

السيدة سامبسون : أبـوك هو الذى أراد أن ينفصل عنها ·

جـــان : وأنـت قمت بجميع ما يلزم لذلك ، أنا أعرف الحكاية كلها · كان أبى رئيسا للشرطة·

السيدة سامبسون : وما يزال ·

جـان : كان بوسعه عمـــل التحريات · على اية حال أنا جئت للبحث عنها ، اذا كانت ما تزال على قيد الحياة ، وآخذها معى الى باريس ·

السيدة سامبسون : أنت تزعم أنك تحبها وتقول لى انك لم تكتب لها · كان من واجبك ألا تتخلى عنها وتتركها تسقط ·

جـــان : لقد اندلعت الحرب ·

السيدة سامبسون : لكنها لم تستمر طويلا ·

جـان : أنا معترف · لم أقم بكل ما كان يجب ان أقوم به · ولكننى لست ابنا عاقا ، كل ما هناك أننى مهمل وتنقصنى الحماسة ·

السيدة سامبسون : كنت دائمـا تتهمنى بأننى سبب شقائك · لم أكن استطيع عمـل شىء ضد رغبة ابيك ·

جـــان : لقد اصطدت فى الماء العكر ·

السيدة سامبسون : من هذه السيدة التى تقف الى جوارك ؟

جـــان : هذه ليديا ·

ليديا : أنا ليديا ·

السيدة سامبسون : أنت التى غادرت المنزل وعلى ظهرك لفافة الملابس وأنت فى الرابعة عشرة من عمرك · كنت مضطرة لطردك فقد كنت تقيمين فى حجرة واحدة معى ومع أبيـــك · كنت تفصلين بينى وبينـــه · كنت جاســـوسة بيننـــا ، كنت تمنعين قيــــام أية خصوصـــيات واى تقـــارب بين زوجى وبينى · أم أنت لســـت ليديا ؟ ربما تكونين الأخرى ، زوجة جان ؟ اذن تذكرين جيدا أننى وزوجى وضعنا دبلة الخطوبة فى يدك ·

(ملتفتة نحو جان) .

هل هي شقيقتك أم زوجتك ؟ (لليديا) لقد كان جان موفقا في زواجه ، اختيار طيب . ولكن للأسف ، اندلعت الحرب بعد ذلك وتبعتها الانفصالات والفرقة التي جعلتنا لا يعرف بعضنا البعض الآخر . (لجان) لم أكن أنا التي ينبغي أن أتقرب الى أمك . فأنا زوجة أبيك الشرعية .

جان : أمي كانت زوجته قبلك . كنت تقولين انني وشقيقتي من أب آخر . انك تعرفين . بل لا تعرفين . لا تدركين معنى ما تقولين .

السيدة سامبسون : أنا لا أتسكع في الشوارع. شفت ، ولا أفتش في الأحياء . انني في معظم الوقت أظل متمددة على فراشي . فأنا أشعر بألم في معدتي ، انني مصابة بامساك مزمن .

جان : وسيقتلك . ياليته يقتلك .

السيدة سامبسون : (لجان) : كيف انقضت السنوات التي سبقت الحرب ، وسنوات الحرب ، والسنوات التي تلت الحرب ؟

جان : قبل الحرب كنت كما تعرفين ، مطاردا من العدالة بلا محاكمة . ولحسن الحظ تمكنت من الهرب الى ذلك البلد الذهبي الذي أحسن استقبالي وأوانا جميعا .

ليديا : (لجان) : أنا أشعر بالامتنان والعرفان نحو هذا الشعب . فلا ينبغي أن نذكره بسوء . ماذا كان سيصبح مصيرنا بدونه ؟

جان : خلال الحرب كنت جنديا في بادئ الأمر . بعد ذلك طردوني . ثم عملت في حوض لبناء السفن في البحرية العثمانية . لكنني لم أصبح مواطنا تركيا .

السيدة سامبسون : أنت تأتي هنا في منزل أبيك، في منزلنا ، ليس للسؤال عني وتحيتي ، وانما تتحداني وتستفزني ، أو لعلك جئت لكي تستفسر عن صحتي . تريد أن تعرف اذا كنت سأموت قريبا . ألا فاعلم أنني ليس بي أي مرض الا الامساك وهو ليس خطيرا . ومع ذلك لا تتعجل الميراث . وفضلا عن ذلك ، فان كل شيء أصبح باسمي . أنا التي أتصرف في كل شيء . فالبيت باسمي ، والمال باسمي . أنت وأختك وزوجتك لن تحصلوا على شيء . أبوك يعطيك ما يكفيك من المال في حياته .

جان : أنا جئت للبحث عن أمي . هذا كل ما في الأمر .

ليديا : اذا كان أبونا قد أعطاه مالا فقد كان ذلك بدون علمك ، لأنك كنت ستمنعينه من ذلك .

السيدة سامبسون : هذا ليس صحيحا ، فهو لا يخفى عني شيئا . أنا التي طلبت منه أن يعطيك مالا .

جان : لايرسل لي المال الا حينما أكون غنيا ومرموقا . أما حينما أكون فقيرا محتاجا فانه ينصرف عني . انه يشعر بالخجل .

السيدة سامبسون : لم يستطع أن يرسل اليك المال أثناء الحرب . لم يكن هناك خدمة بريدية لتجتاز خطوط العدو . ثم لم يكن لذلك قيمة . فقد كان هناك التضخم .

جان : أليس عندك من طعام تقدمينه لنا ؟ لست أدري لماذا أشعر بجوع شديد .

السيدة سامبسون : عندي تين .

(يصل خادم يحمل طبقا به تين. جان سيظل يأكل منه طول المشهد التالي) .

جان : دائما أشعر بالجوع . أرجو أن تكون هذه البلاكارات فيها كميات كبيرة من الطعام .

السيدة سامبسون : أبوك دائما يهتم بتخزين الطعام .

(الأب يدخل من أقصى المسرح) ·

كنت دائما أعطيك الكثير من المال · أنت الآن غني ·

جـــان : اعطيتني خمسمائة ألف فرنك ، ولم يبق معي سوى مائة ألف فرنك ·

ليديـا : يوجد أعداد هائلة من الحجرات هنا في هذا المنزل · يمكن للفرد أن ينام تارة في هذه الحجرة وتارة في تلك ، في الطـــابق الأرضي ، أو الطابق الأول أو الطـابق العلوي · لن تشعر هنا بالملل · فهناك كتب لاتينية ، كما يوجد كتب دينية ، كل كتب اللاهوت ·

جـــان : بالنســبة لي ، هذه الكتب غير مفهومة تقريبا · فيما سبق كنت أفهمها وقد نسيت ذلك · لقد انفصلت عن الدين ·

الأب : هذه أوراق ·

ليديـا : أوراق لعب ؟

(الاب يخرج كثيرا من أوراق اللعب من جيبه ويلقي بها على المنضدة وعند قدمي جان) ·

جـان : (وهو يجمعها) : أوراق لعب · ما أغرب هذه الصور ! وكلمات قديمـــة أفهم بعضها من آن لآخـر ·

(الأب يخرج لفافات كبيرة من الأوراق المالية من جيبه ويعطيها لجان) ·

خذ ! هذه لك ·

جـــان : هذه اوراق مالية روسية قديمة ·

الأب : بل هي تركية ·

جـــان : روسية أو تركية فهي أوراق مالية ملغاة ، لم يعد لها قيمة · لا أريد أن أسدد بمثل هذه الأوراق ديون خالي ارنست · انه يطلبني الآن ·

(جان يتوجه الى الهاتف الذي لا يرن · يرفع السماعة ويضعها على أذنه ثم يضعها) ·

هو بالفعل خالي ارنست ، يطلب مني مبالغ كبيرة لكي يسدد ديون العائلة ·

الاب : لا أدري ماذا أصـــــنع مع هذه العائلة ، مجموعة من المتشردين الفاشلين ·

السيدة سامبسون : هذا ما كنت أقوله له قبل قليـل ·

جـان : أولا ، هذه الأموال ، هذه الأوراق المالية ، خالي ارنست هو الذي أرسلها لي لكي أعطيها لك حتى تغيرها بأوراق أخرى صالحة · أريد غيرها ·

الأب : أمك هي التي أرسلتك هنا في بيتي · فجئت بكل وقاحتك · انت مثلها لم تعد تخاف مني لانك تعرف أنني لا أستطيع أن أضربك ·

جـان : يوجد عجائز في عائلة أمي · كلهـــم طاعنون في السن ، ليسوا مثلي ومثلك ما نزال في سن الشباب بالرغم من كل شيء · لو رأيت أمي كم تقدمت في السن · لقد وصلت هنا منذ ثمانية عشر شهرا · لو رأيت كم تقدمت في السن ! انها تبدو عجوزا في مثل عمر جدتي ·

السيدة سامبسون : أنت اذن ذهبت لزيارتها · لقد منعك أبوك من ذلك ·

ليديـا : لا أحد يستطيع أن يمنعه من زيارة أمه ·

جـان : نعم بعد مضي عام · كانت موجودة ولم أكن أذهب لزيارتها · كان عندي من المشاغل ما يفوق الوصف ، أعمال والتزامات من كل صنف · ثم لم يكن هناك ســـيارات أجرة ، ولم تكن هناك حافلات · لقد حاولت عدة مرات أن أتصل بها ، في كل مرة كانت تظهر عقبة معينة · مثــلا ، لا أجد وسائل مواصلات ، أو أضل الطريق اليها أو أصـادف أصدقـاء في الطريـق يشـغلونني ويثرثرون معي حتى يأتي الليـل فأضـطر الى الرجوع ·

السيدة سامبسون : كنت تقول انك لم ترها وكنت تطلب منى أن أبحث لك عنها ·

جـان : لسـت أدرى بالضبط ان كنت رأيتهـا حقا ، ان كنت قابلتها حقا ، نعـم ، لقـد بحثت لكننى ضـللت الطريق · هى تسـكن خلف الاستاد (ليديا) لكنك أنت رأيتها ، أنت رأيتها·

الأب : كيف عرفت أنها تقدمت فى السن ؟

جـان : (وهو يأكل التين) : قلت لك اننى لست أدرى اذا كنت رأيتها هى أو أننى رأيت جـدتى أو رأيتهما معا ·

الأب : لا أستطيع أن أعطيك أكثر من أربعمائة ألف فرنك · هذه ورقة بخمسمائة ألف فرنك· خذها وأعطنى الباقى ·

جـان : هاك !

السيدة سامبسون : هأنت ترى جيدا أن جيوبك ملأى بالأموال ·

جـان : ليس كثيرا · يلزمنى أكثر من ذلك · العائلة فى حاجة الى أموال أكثر · فهم كثيرون وفقراء جدا· هذا على الأقل ما يجب عليك نحوهم· وهم جميعا طاعنون فى السن ·

(جان يتمدد فوق الأريكة) ·

السيدة سامبسون : أنت كثير المال، فاخر الثياب·

(يسـقط من جيب جان حافظـة نقود ملأى بالأوراق المالية) ·

جـان : يجب أن أخـرج ، لأذهب وأعطى هذه الأموال لأمى ولأسرتها · لكننى سوف أعود · فسيلزم غيرها ·

(يجمـع الأوراق التى سـقطت على الأرض ويضعها مع ليديا فى حقيبة يد تمتلىء بها) ·

سأحمل اليهم كل هذه الاموال · أنا أعرف أين تسكن · شـارع كلود تيراس · ولكن أين يوجد هذا الشـارع ؟

الأب : يمكن أن نرى ذلك على الخريطة ·

السيدة سامبسون : ليس هذا مـن شـأنك · فلا تشغل بالك ·

الأب : توجد عربة بجواد فى الشارع، أمام الباب· بل بجوادين ، بل بثلاثة جياد ·

السيدة سامبسون : (لجان) : انظر الى أبيك كم هو مجامل ! · فليس ذنبى أنه لم يرسـل اليك مزيدا من الأمـوال · لست أنا التى أخذت كل شىء · (للأب) دعه وحده يدبر أمر بنفسه ·

جـان : عربة بجواد لتصل الى الطرف الآخر من المدينة · سـيستغرق ذلك وقتـا طويـلا كما سيكلف الكثير · تعالى ياليديا نبحث عن سيارة أجرة ·

الأب : أنت تعرف أنه لا يوجد سيارات أجرة ·

ليديا : قد يوجد ترام أو حافلات ، ولكن أية حافلة تركب ؟

جـان : الوقت متأخر ، الوقت متأخر ، يجب أن أسرع ·

(تدخل الجدة) ·

ليديـا : جدتى ·

الأب : تأتين بالعائلة كلها هنا · لقد قلت لك لا أريد ذلك ·

السيدة سامبسون : لا يجب أن تنسى أننى هنا فى منزلى ·

الجـدة : لقد فات الأوان الآن · أمك ماتت ·

جـان : (حزينا) : كان يجب أن تنتظر قليلا . فلقد انتظرت طويلا .

الأب : فى الكتب التى أعطيتك اياها تجد ما ينبغى عمله لمن يقبل على الموت أو يكون قد مات حديثا .

جـان : ولكن الذى تضمه الكتب هل هو صحيح؟ فهى كتب قديمة ، كتب قديمة جدا ، فيها تجارب قديمة جـدا .

السيدة سامبسون : حينما أموت ، اريد أن يوضع فوق رأسى تاج من الزهور .

ليديـا (لجان)

هدىء من روعـك .

الأب : آسف لموتها . كانت على أية حال زوجتى . ولكن ما حيلتى فى ذلك .

جـان : أعطنى الكتاب المسجل فيه ما ينبغى عمله لمن يموت حديثا .

ليديـا : عليك بالسلوى بمـــا لديك من ثروة . عندنا منازل كثيرة . فى كل منزل سرر عديدة . يمكن أن نغير السرير كل ليلة وبخاصة أنت الذى لا تحب أن تنام فى سرير واحـد .

★

(**الشخوص** : جان ، ليديا) .

(يدخـلان هو من اليمين وهى من اليســار ويتقابلان فى منتصف المنصة) .

ليديا : هل علمت بالخبر ، هل أدركت ما حدث. ان كنستانتين يحظى بتقدير القراء واعجابهم ، نجمه فى صعود . لقد حصـــل على أكبر جائزة أدبية فى العالم . هذه الجائزة لم يعد أحد يفكر فى منحها لك ، بل انك تبتعد عنها يوما بعد يوم . حتى التقدير الذى كنت تتمتع به أصبح فى تناقص مستمر . وهناك بلدان لا تعرفك . حتى فى فرنسا بدءوا ينسونك .

جـــان : فعـــلا ، من الذى ما يزال يعرفنى ؟ ما اشقانى ! . كنت أعتقد أننى وصلت وأنه لم يعد من الضرورى عمل شىء آخر . لم أدرك أنه كان لابد من مواصلة الصراع . أعتقدت أننى حصلت على كل شىء فألقيت السلاح . فى حين كان الآخرون يواصلون الحرب فى الظلام . وفجأة تبدد الظلام واذا بهم فى بؤرة الضوء . ضوء الشهرة . كيف السبيل اذن لكى أنسحب وأعود الى الظلمـــة انتظارا لبزوغ نهار جديد ؟

ليديا : كنستانتين حصل على الجائزة العالميـة . التى أصبحت بمنأى عنك الآن . ومع ذلك فقد كان ذلك باستطاعتك .

جـان : لقد ظللت أكافح أعواما كسلى وخمولى . بعد ذلك استسلمت لهذا الكسل وهذا الخمول. لقد ضحيت بحيـاتى الفكرية وبكيانى الروحى من أجل شهرتى ، والآن ضاعت الشهرة .

ليديـا : هل بوســـعك أن تعيد الكرة وتبدأ من جديد ؟

جـان : لابد أننى تقدمت فى السن . كم عمرى الآن ؟

ليديـا : لقد وصلك خطاب رسمى .

(تقدم له الخطاب) .

جـان : (يقرأ الخطاب) :

« سيدى ، بالاشارة الى الطلب المقدم منك ، تم تعيينك مدرسا ثانويا فى « ستراسبور » » اذن فأنا لست عجوزا جدا ، بل أنا شاب ماداموا يعرضون على أن أبدأ حياتى العملية من جديد . مدرس ثانوى ، كما بدأت حياتى .

(ليديا تخرج) .

جـان : عجبا . أين انا الآن ؟ فى باريس طبعا . لقد وصلت من مارســيليا ، ماتزال صور البحر الزرقاء تتراقص امامى ، لقد تذكرت الآن ، أمس

فقط كنت في مارسيليا حيث وصلت من رحلة طويلة ، رحلة بحرية · كنت في القسطنطينية · أجل كنت على ظهر باخرة هائلة من الضخامة بحيث كان من الصعب أن تجتاز مضيق البوسفور · لقد اضطروا الى تزييت الباخرة لكي تمر ·

(يدخل لويس) ·

لويس : لقد ضيعت وقتك أيضا في هذه الرحلة· تعتقد أن لديك فرصة أخرى من الوقت تضيعها· ولكنك تأخرت الآن · أنت عجوز طاعن في السن ·

جـان : مرآة اللبس ، المرأة العاكسة ، ليس لها عمر ! أنا في شباب دائم · أرى نفسي دائما شابا في أحلامي · ان اللاوعي لا يشيخ أبدا · ثم أنا أمشي ، وأجري ·

لويس : أنت رأيت فيما يرى النائم حلما جميلا ، حلما جميلا ، استغرق خمسة عشر عاما أو عشرين تقريبا · لكنه انقضى ، هذا الحلم الجميل ، وأنت لم تصنع شيئا من أجلي ·

جـان : يبدو عليك أنك تحتقرني ، أنت يامن كنت في الماضي تمالقني وتداهنني ، ما أجمل هذه الحلة التي ترتديها !

لويس : لا علاج لذلك· هذه المرة لا اصلاح يرجى· لقد كان الحظ دائما حليفك في الخلاص والنجاة· أما الآن فقد انتهى كل شيء · أنت الآن منهار تماما · انظر الى أنا تجدني صلب العود · سأدفنكم جميعا · أنا الذي يضحك الآن · لا تحاول أن تعيد الكرة · لقد مضى زمنك · وأنا ذاهب الآن · يجب أن نتعلم كيف نتخلص من الصداقات المزعجة المعطلة · أنا الآن على موعد مع خطيبتي ·

(ينصرف) ·

جان : لويس هذا ، يكفي أن تزول عنك النعمة والسمعة الطيبة حتى يتخلى عنك · لن أغفر له ذلك ! لو كان الوقت بالرغم من كل شيء مايزال أمامي فلن أنسى ذلك · انه يخشى أن تعود الكرة ويبدأ كل شيء من جديد· كان يحسدني ويغتاظ مني · وهو الآن سعيد ويبتهج لاعتقاده أن الفرصة أتيحت له لكي يثأر مني · ولكنه لن يتمكن من ذلك · لن يتمكن من ذلك · سأذهب الى ستراسبور· زمني لم ينقض بعد ، وسأبرهن له على ذلك· هناك قطار واحد بالمجان للوصول· اذا فاتني هذا القطار فقد ضاع كل شيء الى الأبد · كيف السبيل لكي لا يفوتني هذا القطار وفي أية محطة أجده ؟ أخشى أن يفوتني هذا القطار وألا أصل في الموعد بسبب هذه الحقيقة الثقيلة التي تقيدني ·

(ليديا تدخل) ·

ليديـا : اذا شئت ، ساعدتك في حمل الحقيبة ·

جـان : قبل فترة قصيرة ، قبل عامين فقط ، كان المال يصلني من كل مكان ، كانت الصحف ترسله الى دائما · كانت الصحف تظهر وفيها صوري · أما الآن فلا شيء يصلني · كيف السبيل للعثور على بعض المال ؟

ليديـا : فيما مضى ، حينما كنا فقراء ، كنت تنظر تحت قدميك وكنت تجد المال فوق أرصفة الشوارع وفي مجاري المياه ، فمل بجذعك وابحث ·

جـان : سأحاول ·

(يميل بجزعه ويبحث) ·

ليديـا : انظر ، انظر ، يوجد شيء يلمع هناك ، هناك ! وهنا أيضا !

جـان (يجمع قطعا من النقود ينظر فيها)

شيء تافه · قطع من النقود ضئيلة القيمة · ليس هذا هو الذي سيخلصني مما أنا فيه ·

ليديـا : انظر ، هنا أيضا !

جـان (يميل مرة أخرى ويلتقط قطعة من النقود)

لا قيمة لهـا ! هذه ملاليم قديمة سحبت من التـداول ·

ليديـا : لا عليك ، فهناك فى ستراسبور ينتظرك هذا المركز الجديد · لقد ذهبت الى كلية الطب وطلبت شهادة تخرجك · ها هى ذى ·

جان : دبلوم فى الآداب ؟ سأعرض هذا على الجميع لكى يعلمـوا أنـنى مازلـت قـادرا على أداء الامتحانات · ولكن ما السر فى أن كلية الطب هى التى تمنحنى هذه الشهادة · هل هى التى تمنح شهادات الآداب أيضا ؟

ليديا : طبعا ، بالتأكيد · كما ترى · بل هى أكثر جدية من كلية الآداب، فهى عملية أكثر · وبذلك تحظى أنت بتقدير العلماء وكبار الأطباء · لأنهم عرفوك فى العيادة التى ذهبت اليها للعـلاج · هل تذكر كم أكرموك · اذهب الى محطة السكك الحديدية وقدم هذا الدبلوم فى شباك التذاكر وسيعطونك فى المقابل تذكرة للقطار ·

جان : يجب أن أذهب · ان السكنى هنا مشئومة ·

ليديـا : بالقرب من باريس ، عند محطة بوابة فيرسـاى ، أول الطريق الزراعى · يمكنك أن تذهب اليه كل يوم ·

جـان : نعم ، هذا صحيح · كنت أذهب اليه فيما مضى من آن لآخـر ، طلبـا للهواء والاستمتاع بمناظر الطبيعـة · كذلك كنت أذهب حينما كانوا يسـمحون لى بالخروج من العيـادة بين عمليتين ، هناك حقول كثيرة وشاطىء · مناظر تشرح الصدور وتحيى القلوب · مازلت أتخيل هذا الشاطىء وهذه الحقول التى تفيض بالنور · وياله من نور ! نور يختلف عن النور ! وكنت اتسلق الشاطىء الى أعلى القمة فأبلـغ مدينـة النور · لقد زرتها عدة مرات · آكان ذلك فى الحلم أم فى الحقيقـة ؟ فى الحقيقـة · ولكنها كانت من الروعة والجمال بحيث كنت أظن أنها من عالم الأحلام · ترى ما اسم تلك المدينة ذات المنازل البيضاء والسماء الزرقاء ؟ كانت هناك منازل بيضاء تتلألأ فى الشمس المشرقة ، موقع جميل ، تحف به الأنوار من كل مكان · ما اسم تلك المدينة ؟

ليـديا : مدينة النور ، مدينة النـور ، هذا هو اسـمها ·

جـان : أرأيت · لم أفقد كل شىء مادمت أذكر اسم المدينة · مدينة النور ، مدينة النور · من الممكن أن أجدهـا فى بعض البطاقـات البريدية ، فى الخرائط · فى جميع بطاقات الاحلام · موجودة · مدينـة النور · مدينـة القلب ، قلبى · مدينـة النور · مدينة أحلامى · مدينة النور ، مدينـة حقيقتى الواقعيـة ·

ليديـا : حينما تنطق باسم مدينة النور ، تصل شمسها الينا حيثما نكن ·

جـان : فلماذا اذن تعود الظلمة ؟ أيها النور ابق ولا تذهب ! مدينة النور، اسم النور · وا أسفاه ! كل شىء يظلـم · لم أعد أتمتع بالقوة الكافيـة لأحتفظ فى نفسى بنور مدينة النور · لقد حلت الظلمـة من جديـد · ترانى لا أحلـم ؟ أم هو كابوس ؟ مرة أخرى تسكن الظلمة قلبى ·

ليديـا : ستعثر عليها فى ستراسبور ·

(يدخل بول ، ليديا تخرج) ·

جان : أنت تقبل ومعك الظلمة · قبل لحظة واحدة كنت فى مدينة النور · أما الآن ، فقد ابتعدت مدينة النور كيلو مترات وكيلو مترات · أنت دائما جميل الثيـاب · أنت ، بالمقارنـة بى · أفضل ثيابا · لا يجب أن تحقد على حينما أقول لك الآن انـنى فى حاجـة الى المال لكى أشترى تذكرة سفرى بالسكك الحديدية · لا أستطيع أن أذهب سيرا على الأقـدام · فيما مضى كنت أصعد الشاطىء وأبلغ مدينة النور بعده مباشرة · أما الآن فان التعب يمنعـنى من الصـعود ، بل والسير على الأقدام حتى فى الطرق المستوية · أنا محتاج الى نقود لكى أشترى تذكرة السفر ·

(جان يتكلم بعد وقفـة) ·

صراخ وعويـل ، وهيـاج وجنـون ، ومشى ورقص ، وتلام وهمس وسب ، وصلح ثم سب وغيرة وحسد وتعذيب ، ثم يختفى كل شىء . هناك من يقيم فى الفنادق الكبرى . وهناك من يصيحون على الابواب ويصعدون ليطردوا النزلاء . هناك دائما نيران ودخان . ثم يعيدون البناء . ويشـغل البعض أفضـل الأماكن ولمدة يومـين ولكنهم ما يزالون موجودين بعد مرور أربعة ايام . فيطردهم الآخـرون وينتزعونهم انتزاعا . يجب أن تقطع الحبال والروابط ثم يختفى هذا أيضا . يقولون : « نحن هنا عابرو سبيل فقط ... » لكنهم لا يتزحزحون . وكذلك الذين بلا مأوى لا يتزحزحون . لا أحـد يريـد أن يختفى بالود والتفاهم . المحظوظون أشد قسوة من البؤساء الذين يتكيفون مع بؤسهم . قلت لهم ، هناك الزلازل والبراكـين التى تطاق علينـا اللهب والحمم . هناك الحرائق فى الغابات والمدن . هناك العواصف والأعاصير . ثم هناك الأمراض والاوبئة المميتة . فلندع كل ذلك يعمل .

اذا كنا بأية حال نحترق فلا نحترقن شوقا . بل علينـا أن نرقص معا أو أن يمسك بعضنـا بأيدى البعض الآخر بأعدادنا الهائلة نحو أبدية الخـواء ، جنـات الصمت ، فلنسرع بـدلا من الانتظار ، هيا ننطلق بأقصى سرعة .

واأسـفاه ! من يضمن أننا لسـنا فى أول حلقة . وقد تكون الحلقة الثانية أدهى وأمر .

(سيدتان تظهران) .

جـان : دلينى على الطريق .

السيدة الأولى : الجهات الأربع الأصلية ليست هى نفسها .

السيدة الثانية : هناك سوبر شـمال وسوبر جنوب .

السيدة الأولى : النهر كبساط ممدود .

السيدة الثانية : يجب أن تبلغ محيط الدائرة .

★

(**الشخوص : فيوليت ، جان**) .

(**فيوليت ترتدى جبة بيت (روب دى شامبر)** ليس تحتها ثياب) .

جـان : هذا أنت يا فيوليت . لقد عرفتك جيدا . أنت جميلة وشـابة كما كنت فى الماضى . شىء مدهش . لم تتقدمى فى السن منذ خمسة وعشرين عاما . ما تزالين فى الخامسه والعشرين . انا فى غاية الاندهاش من شبابك . يا لها من خسارة لا تعوض ! يالها من خسارة أن يموت اسكندر ! . لا ترمقينى بهذه النظرة الشرسة . أعرف أنك تحقدين على . هل مازالين تحقدين على ؟

فيوليت : مازلت أحقد عليك . ولعل ذلك لغير الاسـباب التى تعتقد فيها . أنت كنت شـابا وطموحا ، كنت غبيا معه . ولكن ليس هذا هو كل ما فى الأمر ، ليس هذا هو السبب .

جـان : كنت شابا وطموحا . ولكننا كنا كذلك نحن الثلاثة . لقد استمرت صداقتنا فترة قصيرة من الزمن ! آه ، أنت لا تعرفين كم آسف على موته .

فيوليت : ما فائـدة الندم ؟ ولكننى اعتقد أنك نـادم .

جـان : قبل أن يموت أعطانى اشارة . أرسل لى صورتـه .

فيوليت : وأنت أرسلت اليه صورتك فى الوقت نفسـه .

جـان : كان لدينا نفس الشعور ، دون أن يخطر لنا ذلك ببال .

فيوليت : لقد تلاقت الصورتان . ومات هو بعد أربعة أشهر .

جـان : وعلمت السبب . كان قد بلغ درجة كبيرة من المرض والضعف الجسدى ، فلم يستطع أن يقـاوم .

فيوليت : قيل انني هجرته عقب مشاجرة بيننا ، ولكنها نميمة ·

جان : هذه الاشارة الأخيرة ، كأنها الوداع · هل تعتقدين أننا لن نراه مرة أخرى ؟ هل هناك عالم آخر ؟

فيوليت : ليس هناك عالم آخر · ما فاتك مضى الى الأبد · لاشىء يمكن تعويضه ·

جـان : اذن فانت لا تؤمنين بوجود عالم آخر ؟

فيوليت : لا توجد فضاءات أخرى ، لا توجد أماكن أخرى ، لا توجد أزمان أخرى ·

جـان : قد توجد فضاءات متداخلة بعضها فى البعض الآخر ، تفصل بينها أستار خيالية ، حواجز وهميـة · قد توجـد أزمان فى الزمن الواحـد متحدة ومنفصلة فى آن واحد ·

فيوليت : لا تكن طفلا وتسأل الأسئلة البلهاء التى يسألها الجميع · كل شىء لا يقع الا مرة واحدة ·

جان : اسكندر لم يكن واثقا من ذلك · كنت دائما أفاجئه وهو يقبل الأيقونات · لا ، لا ، لا تتخذى هذه الهيئـة ·

(وقفـــة) ·

كنت أعيش فى ذلك الزمان بكل عواطفى · كان ذلك الزمان مليئا ، ثريـا ، حافلا ، كانت هناك وقائع وأحداث · أما الآن ومنذ سنوات ، فان الزمان أصبح خاليا ، فارغا ، يمضى حثيثا · لم أعد أستطيع أن أمسك باللحظات · كان النهر فى الماضى يسيل فى هدوء وهوادة ، أما اليوم فهو شلال يتلاطم · وكانت اللحظات تداعبنـا وتنتظرنا· أنا وصلت · أين ؟ أنا حققت ، ماذا ؟ كل شىء باطل ، اذا متنا سنموت من الحب ·

فيوليت : واضح ، أنه كان بينكما سوء تفاهم · كل شىء وراء سوء التفاهم ·

جـــان : هذا ما كنت أقوله ·

فيوليت : لى صـديق جديد شرح لى كل شىء ، أسباب سوء التفاهم هذا · أنت لم تكن انسانا سـويا ·

جـــان : من هو هذا الصديق ؟

فيوليت : ألا تعرف ؟ هو ايفان ، البولندى ·

جـان : أنت لا تعرفين البولندية ·

فيوليت : أنا أترجم عن الانجليزية ·

جـــان : النص مكتوب بالفرنسية ·

فيوليت : النسخة الانجليزية أفضل ·

جان : تستطعين أن تتصورى يا فيوليت كم أشعر بالحسرة لأننى منذ زمن بعيد لم أر إسكندر · لا فائدة من الندم بطبيعة الحال · كانت غباوة من جانـبى ، وربما من جانبنــا · كان خـير أصدقائى ، كان أخى · ما الذى جعـل كلا منا يبتعد عن الآخر ؟

فيوليت : أنت الذى هربت ·

جـان : تصورت أنه يقلدنى · والواقع أنه سرق منى حلما ·

فيوليت : كان هو أيضا يكثر من الأحلام : صحيح، كان يمكن أن تكونا أخوين · غـــرور الأدباء · وكنتما تتشابهان كثيرا ، وكانت أحلامكما واحدة· كما أن ماضيكما كان متشابها · فضلا عن ذلك ، القلق نفسه والهواجس نفسها ·

جـــان : بلاهات ، منافسة أدبية موهومة ·

فيوليت : غلطتـــك ·

جـان : لكنه كان قد أصبح مناضلا ، ماذا كان يمكن أن يفيد ؟ بلاهة فى نظرى ·

فيوليت : كان عليك أن تدرك ذلك قبل فوات الآوان · أنا لا أستطيع أن أشعر نحوك بالود ·

جـان : لا تبغضينى الى هذه الدرجة ، فقد كنت دائما عاجزا عن مخالطة أى انسان لا يشاركنى أفكارى ·

فيوليت : وهل عندك أفكار فعلا ؟ اذا كان قد أصبح مناضلا ، فلعل ذلك بسبب انفصالكما ، ما كان يفعل ذلك لو لم تتركه وحده · اذا كان قد سـجل اسـمه فى الحزب فـذلك لكى تكون له أسرة · لقد تركته وحده بلا سـلاح · أفكار ! أيديولوجيات ! انها المصادفـة لا الاختيـار · أحداث عارضة · تفاهات ، أباطيل ·

جـان : أنا الذى أردد دائما أن الصداقة يجب أن تعلو على كل شىء · الصداقات بالرغم من كل شىء · الصداقة شىء جميل ، ما من شىء يهم سواها · الموت · وأخيرا ، اختار الموت ·

فيوليت : بل اختاره الموت ·

جان : عشرون عاما مضت ، عشرون عاما استطعت أن أعيش بدونـه ؟

فيوليت : أنت تضايقنى باحساسك هذا بالذنب· فلتغرق فى وحل الاحساس بالذنب · فلتغرق ·

جـــان : لا أملك لك شيئا ·
ولكنـك أنت يا فيوليت التى دفعـت الأمور وأوصلتها الى الأسـوأ · لقد حاولت عدة مرات أن أقابلكما أنتما الاثنين وأن أعيـد العلاقات ، لكنكما اعرضتما عنى ورفضتما وسـاطتى · وأدركت أنكما لا تريدان النسيان · لقد دفعتما بالأمور الى ما هو أسوأ ·

فيوليت : ربما كان عليك أن تعاود المحاولة وتلح فى الوساطة · ولكننى الآن تجاوزت كل ذلك · صديق جديد ويجب أن أترجم انتاجه ·

جان : ولكن لعلك ، أنت التى كنت قد تعبت منه وأصبحت لا تطيقينه · كانت مطالبـه كثيرة ، يريد العون والمسـاعدة فى كل وقت وحين ، من الصباح حتى المساء ، ومن المساء حتى الصباح · بمجرد ان يفتح عينيـه كنت تضعين السيجارة بين شفتيه · بعد ذلك بزازة الكحول · بعد ذلك فقط كان ينهض من الفراش · كان سوء التفاهم بالتـأكيد فى بادىء الأمر ، لكنك انتهزت هذه الفرصـة ، وعمقت سوء التفاهـم هذا بدلا من اصلاحه ، كانت الامور واضحة بالنسبة لك · وكنت تسيطرين على نفسك · كان بوسـعك مساعدته، كان بوسعك مساعدتنا· كان بوسعك أن تفسرى وتشرحى · لكنك لم تحاولى أن تفعلى أكثر من ذلك · لماذا ؟ ماذا كان السبب الحقيقى ؟ لابد أن هناك سببا لا أستطيع أنا معرفته ، سببا أخفيته عنى · ماذا كان السبب الحقيقى ؟

فيوليت : الم تعد تذكره فعلا ؟

(تسقط جبة البيت التى ترتديها) ·

(فى أقصى المنصة يظهر اسكندر) ·

اسكندر : هيا ، يا جان · أنا أسمح لك بذلك · هيا · مادمت أنا أسمح لك بذلك ·

فيوليت (لاسكندر)
هل هو أبله ، أو يتظاهر بذلك ؟

اسكندر : جان ، لقد خيبت ظنى ، حقا أنت خيبت الظن فيك ·

جـان : أنت جميلة ، رائعة · كنت لا أصـدق عينى ، لم أجرؤ · وظللت مقيدا · ليس لك أن تحنقى ، لم أكن أجرؤ على التصديق · كيف كنت أستطيع أن أتصور ؟

فيوليت : المرة لا تتكرر ·
(وقفـــة) ·

اسكندر : لقد فضلت أن أموت · كنت أريد أن اكتب اعمالا جميلة كالموسـيقى فى مثل رقتها

وعذوبتها وصفائها · حتى الشعر لايبلغها · أحيانا فى النادر ، يكون هناك « باليه » من الألفاظ ، من الموسيقى الكلامية ، عند الشـــاعر ، « آرجـون مثـلا ، ولكنه شىء نـادر · حتى عنـد آرجون (اسـكندر يختفى · جان يبقى كالمتجمد أمام فيوليت التى تعيد ارتداء جبة البيت فى بطء) ·

فيوليت : كلا ، المرة لا تتكرر ·

★

(الشخوص : جان ، اسكندر) ·

جـان : لا جديد · من آن لآخر نشعر بالعثور على غيضة نسبر أغوارها أو آكمة صغيرة · ونعتقد أن هناك قارة جديدة ، فى آخر الآكمة بل فى داخل الآكمة ، ونعثر على آثار اقدامنا · لقد سبق أن مررنا بهذا المكان ! ونصاب بالدهشة ، ثم نتذكر اليوم ، والساعة · شىء مخيب للآمال ·

اسكندر : قد تكون هناك مغارة أخرى ·

جـــان : لابد أن أصـــل الى ما وراء السياج ، واقفز فوق الجدار · ولكن العزيمة تخوننى ·

اسكندر : ليس الأمر سهلا · فنحن فى الواقـع نحب أن نعود الى الوراء · نبيذ الصباح الأبيض المعتاد ، والسيجارة الأولى · يوم جديد يشرق · بل نحن نحب العـــادات التى اعتـدناها حتى ولو كانت غير مريحة ·

جـان : ونود أن نعيد الكرة بشرط أن يكون كل شىء جديدا · ولكن هذا الجديد ، نحن ننتظره · نحب أن نعيد الكرة ولكننا لا نحب أن نبدأ ·

اسكندر : العرائس الصغيرة تدور ثلاث دورات صغيرة ثم تذهب ·

جـان : أو ترفض الذهـاب · ويحدث هذا حتى اذا لم يرد الآخرون أن نذهب · نحن لا نريد أن نذهب· فالآخرون ينظرون الينا ، يستمعون الينا، نحن أنفسنا ، ننظر الى أنفسنا ونستمع لأنفسنا ويقولون ، هى العرائس نفسها ·

اسكندر : نحن نقول الشىء نفسه · نحن نعرف أننا مستهلكون ·

جـان : ليتنا والآخـــرين نستطيع أن نكتشف طراوة الصباح الأول ·

اسكندر : النبيذ الأبيض قد يساعدنا ! كلا · بل النشوة وليس السكر ·

جـان : أنا روحى برجوازية · يعنى روح لهـــا نفس العادات ·

اسكندر : أن نعمل شيئا جديداً ·

جـان : أن نكون شـيئا جديدا · مخلوق جديد تماما يعجز الخيال عن وصفه ·

اسكندر : التغرب ·

جـان : آه ، نعـــم ، التغريب ! لقـــد فتننى التغريب · وأنا أخافه أيضا كل الخوف ·

اسكندر : لقد ضقت ذرعا بهذا البلد · ولا أريد غيره ·

جـان : لو أمكننا أن نكون فكرة ما ، فكرة صغيرة عن البلد الجديد ، لو كنا نعرفه ، لما كان هناك تغـريب · لست أدرى اذا كنت أحب المغـامرة أو أبغض المغـامرة · فى بعض الأحيـان أقول لنفسى لا أريد مغامرات أخرى ·

اسكندر : الملل والتعب فى النهاية يولدان عندك الرغبة فى المغامرة ·

جان : الملل : لقد تعودنا عليه · تعودنا عليه · أو بالأحرى لم نتعود عليه ولكننا تعودنا ألا نتعود عليــه ·

اسكندر : على كل ، ماذا تقول لو نعيد الكرة لكى نصنع أفضل مما كان ؟

جان : لن تكون الظروف واحدة . حتى كلمة ظرف يمكن ألا تعنى شيئا .

اسكندر : سنتكيف مع الظروف الجديدة . وقد نغير جلدنا فى النهاية دون أن نغير طبيعتنا .

جـان : هل سيكون هناك دائما الحيـاة ؟ وهل ستسمى الحياة ؟ وأى نوع من الحياة ؟ نصنع أفضل ! الا اذا لم نفشل على مستوى الجوهر ، نفشل على المستوى الغيبى أو الميتافيزيقى .

اسكندر : نصنع أفضل فى المرة القادمة ! هل هذا ممكن ؟

جـان : سيكون الوضع لا بأس على هذا النحو . مع أننا لا نملك القدرة على التواجد فى كل مكان فى وقت واحـد .

اسكندر : نحن لا نطلب شيئا كثيرا . أنا أيضا أشعر بأننى أعيش فى قفص . بل اننى أعتقد أننا جميعا فى قفص . هنـاك فتحة يمـكن أن نعثر عليها . سأعثر عليها ذات مرة . ولكن يجب أن نعثر عليها بأية حال . الآخرون يدفعوننـا وهم يصلون جماعـات كثيرة يملأون القفص . وآه ، لو عندنا قفص آخر أقل زحاما !

جـــان : سيكون قفصا أيضا .

اسكندر : هل نحن كائنا خلقت لتعيش دائما فى القفص ؟

جـــان : هذا ما قلتـه لك . فما جـدوى تغيير القفص ؟ ولكن القـــرار ليس بأيدينا . حتى أن نعيش فى نفس القفص .

اسكندر : لن نستطيع . اذا كنت بدأت تشعر بالضيق فذلك لأنك ترغب فى الرحيـل الى بلاد أخرى . وهذا يعنى أنك أصبحت تقبل المغامرة . والآخرون يدفعوننا .

جـــان : ركن صغير قد يكفينى !

اسكندر : لن تكون هناك أركان صغيرة هادئة زمنا طويلا . لقد بدأت تنتهى . وأنت ترى ذلك . تراه جيدا . انهم يحاصرونك ، ينهشونك .

جان : أنت تقول لى ما يقلقنى ويطمئننى فى وقت واحد : الملل ، انه الرغبـة فى المغامرة ، اللهفة على المغامرة . ولكن ، لا . فهذا ليس اكيـدا . سأبقى قليلا ، بقـدر ما أستطيع . بصحبة اثنين أو ثلاثة أحبهم . لا أريد أن أتركهم وحدهم .

اسكندر : بالنســـبة لى ، أعتقد أننى سـاقطع العلاقات . لا أحب أن أطرد طردا ، سأنطلق من قبل الى المغامرة .

جـــان : الهوة . هوة المغامرة السحيقة . تقفز فوق الجـدار . ولكن اذا كانت هنـــاك الهوة السحيقة ؟

اسكندر : كانت هناك خطوات الانسان الأولى فوق القمر . لقد جرؤوا على المغـامرة . فينبـغى أن نجرؤ أكثر قليلا . لن أنتظر حتى أطرد (نهاية المشهد) .

جان : شىء غريب . بلدة صغيرة كهذه يشيدون فيها ثلاث ناطحات سحاب هائلة . النفر القليل من الأشخاص الذين يسكنونها يعتبرون فى الريف وفى الوقت نفســه يتمتعون بوسـائل الراحـة التى توفرها المدينة . هل عندهـم مصعد لكى يصعدوا الى أعلى ؟ والمنازل الأخرى منخفضة جدا، ولكن هناك شارعان ، وداران للسينما، ومطعمان من المطاعم القروية .

فتى قروى : ماذا تفعل يا هذا ؟

جـان : أبحث عن الفضاء المفقود . (على حدة) يبدو أنه جلف غليظ .

الفتى القـــروى : اذا كنت تبحث عـن القصر الصغير ، فعليك أن تجتـــاز الغـابة الصغيرة . فيما مضى كان هناك ماركيز يسكنه . أما الآن فقد حولوه الى فندق .

جـان : أنت تشبه ماكلاجين ، ممثل السينما . يبدو عليك الميل الى المشاجرة .

الفتى القروى : عمرى ثلاثون عاما . رسبت فى امتحان الاعدادية . لست أدرى ما اذا كنت سأتقدم مرة أخرى أو أننى سألتحق بمدرسة فنية . على اية حال ، بى رغبة شديدة فى أن أكيل لك بعض اللكمات فى أضلعك .

جـان : الا تريد بالأحرى أن تشرب معى كأسا ؟

الفتى القروى : انظر ! هذا أبى .

(يصل قروى آخر يشبه الأول بشكل غريب لكنه اكبر سنا) .

جـان : ما اشبه كلا منكما بالآخر . كأن أباك هو أخوك الأكبر . كلاكما له علامة سوداء فوق عينه اليسرى .

القروى الآخر : مطعمى هناك ، قريب جدا . تعال واشرب كأسا معى .

جـــان : أنا معى مال كثير . انظر .

الفتى القروى : من أعطاك هذا ؟

جـان : الخباز ، لقـــد غيرت من عنـده الورقة الماليـة .

القروى الثانى : هذه أوراق لم يعـد لها قيمة . لقد ضحك عليك . هذه سندات قديمة .

جـــان : سندات ؟

القروى الثانى : لم تعد سارية المفعول منذ الحرب الثانيـــة .

جـان : ها هنا انا عشت حينما كنت طفلا صغيرا . ألا تذكروننى ؟ كنت أسكن الطاحـونة ، مزرعة الطاحونة .

الفتى القروى : أبـــدا . وأنت يا والدى ؟ أين كانت هذه المزرعة ؟

جـان : على شاطىء النهر الصغير . خلف الأكمة . ألا تعرفون فعلا ؟ ألم تسمعوا قط عن أصحابها القدامى . اسمهم « مونييه » أسرة عريقـــة من أسر المنطقة . خسارة أن المنزل تهدم ولم يبق منه شىء . ولا الذكرى . ومع ذلك فهذا ما جئت أبحث عنه . لن أعود الى هذه القرية مرة أخرى . ولكن أين أقضى عطلتى الصيفية ؟

★

(**الديكور :** حجرة مظلمة وكئيبة . يصل من اليمين جان ومعه صديق . السقف مظلم وقذر ، يسمع أنين سيدة عجوز آتيا من السقف) .

جـان : طبعا يا عزيزى ، فى الريف ، بين البحر والجبل ، عندى هنـاك منزل جميل . يختلف تماما عن المنزل الذى أسكن فيه حقيقـة ، انه قصر منيـف بقـاعاته الكبرى وأثـــاث لويس السـادس عشر وأرائك طراز الامبراطوريـة . لابد أن لويس الثالث عشر قد نزل فيه . لكنه منزل أراه فى الحلم فقط . ولما كنت أراه كثيرا فى الحلم فلابـد وأنه منزل حقيقى ، قصر كما قلت لك بداخله سرايـات أكبر من القصور ، هذه السرايـات أراضيها تمتد حتى المحيط بل وابعد من المحيط . كيف يمكن للسرايات وهى اكبر من القصور أن تدخل فى القصور ، هذا سر من أسرار الفضاء الخاص بما بين العالمين أو ما بين العوالم الثلاثة . فضـاءات يتداخل بعضها فى البعض الآخر ويعلو بعضها البعض الآخر . أنت لا تســتطيع أن تفهم هذا الا فى الأحلام . هذا يقابل المنزل الحقيقى ، حقيقى مائة فى المائة .

الصديق : اذا كان لويس الثالث عشر نزل فيه فهو بالتأكيد منزل حقيقى .

جـان : لقد التقينا فيه كثيرا ، فى الأحلام أقابلك أكثر مما أقابلك فى هذا الواقع المزيف ، فمن هناك تحدثنا عن الواحد وعن المتعدد .

!

اذكر ذلك جيدا ، أذكر ذلك تماما . أنا رجل صناعـة ، وقد تحدثنـا فيه كثيرا عن مصـنع

الجوارب الذى أمتلكه · مصنع تكاثر الجوارب · كيف يمـكن للجورب الواحد أن يتكاثر ؟ لقد عثرت على مواد جديدة ، لا هى من الحرير ولا من النـايلون ولا من القطن ولا من أية مواد أخرى ولا من الأنسجة الأخرى الشائعة المعروضة فى واقع الحياة اليومية · ومع ذلك ، فليست هذه أول مرة نلتقى فيها فى هذا المنزل المظلم بشارع كلود تيراس الذى هو أيضا منزلك وهو حقيقى مثل المنزل لآخر ، ما دمنا نلتقى فيه كثيرا ، هنا فى شارع كلود تيراس ، فى هذا الطابق الأرضى المظلم ، فى هذا الطابق الأرضى المظلم حيث أكلنا خبزا وحيث شربنا أيضا الكثير من الشعير وحيث تحادثنا كثيرا فى أمور فلسفية · فى فضاءاتك ، أين تضـع هذا المنزل ؟ هل هنـاك فضاء بين فضاءات أخرى داخل الفضاء ؟ ربما والا لما كنا هنـا الآن ·

جـان : المنازل الحقيقة هى التى نتذكرها ، ولكن أيضـا وبنوع خاص هى التى نتذكرهـا فى الأحـلام · هى التى نعثر عليها ونـدخلها فى الأحلام ؟

(يسمع أنين سيدة عجوز آتيا من السقف) ·

المنزل الحقيقى هو الذى نحلم به · نعم ، أنا كثيرا ما أحلم بهذا المنزل الذى ننزل فيه الآن ، كلها حقيقة ، ولكن أيها أكثر حقيقة من الأخرى ؟ أنا لا أحلم أبدا بمنزل ثالث ، فهو لا يوجـد ، وهذا المنزل الذى نحن فيـه هو الذى أحلم به كثيرا ، فهذا اذن هو الأكثر حقيقة ·

الصديق : بالتأكيد ، هذا هو الأكثر حقيقة مادام هو المنزل الذى عشت فيه مع أمك ·

جان : نعم بالتأكيد ، أنت على حق ، هذا هو الأكثر حقيقة ، هو الأكثر حقيقة مادام هو المنزل الذى عشت فيه مع أمى ، كانت تظن أننى مجنون ، وأنا جئت لكى أبحث عنها ·

(أنين شكوى آتيا من السقف) ·

بل هى المجنونـة · طبعـا لا يجوز أن يقول الانسـان هذا عن أمه لكنها تختـبىء · انظر · المنزل خال الا من منضدة صغيرة حتى لا نبحث عنها وراء الكراسى والأرائك · ولكنـنى لست أدرى لماذا هذا المنزل يشبهها ، هنـاك أيضـا حركاتها الخفية ، وجهها الحزين · وعلى الأرضية دموعها التى لا تجف ·

الصديق : لن تجف مادمت لم تجدها · ألا تسمع هذا البكاء وهذا الأنين اللذين يأتيان من السقف واللذين يسقطان نقطـة نقطـة ؟ انظر · هذه نقطة على راحة يدى ·

جـان : هى فوق · أماه ، أنت هنا ، أنت فوق ، انزلى ·

صوت العجوز : أنا أخـاف على الأرض · الأرضية نخرها السوس · من دموعى تولدت الصراصير ، الأرضـية مليئة بالحشرات · الأرضية نخرهـا السـوس · المقبرة تحت الأرضية ، وأنا لا أريد أن أسقط بداخلها · جميع أفراد أسرتى موجودون بداخلها وقد استحالوا ترابا · أما هنا ، فوق ، فأنا محفوظة من الموت ومن التراب ·

جـــان : (ناظرا الى أعلى) : مادمت أقسم أننى بحثت عنك فى كل مكان · أماه ، أخيرا وجدتك ·

صوت العجوز : لا أريد أن أنزل ·

(جان والصديق يحملان الكرسى الوثير الذى نراه من أسـفل ، الكرسى بأكملـه يظهر وبه السـيدة العجوز · جان والصـديق يسـندان الكرسى ويضعانه فى هوادة فوق الأرض) ·

جـان : أرأيت ، الباركيه لا يطقطق يا أماه ·

الصديق : أرأيت يا سيدتى ، الباركيه لا ينهار · الحشرات ابتعدت عنك ·

العجـوز : (وهى فوق الكرسى) : لا أريـد ، لا أريد · أنا خائفة لقد تركتمونى وحدى زمنا طويلا · وأنا لم أتعود الوحـدة · (لجـان) أين أختـك ؟ أين أبـوك ؟ (تشـير الى

الصديق) من هذا الرجل ؟ اياك أن تتركني هنـــا .

جــان : سأصحبك معي ، سأضعك داخل أجمل تابوت زجاجي ، مثل بابوات ايطاليا ، وسيكون لك ثوب أحمر .

العجوز : انظر كيف أصبحت منفـرة . وثيابي رثة . لم يعد عندي سوى هذه الخرق الباليـة ، لم يبق‌منى سوى العظام وقليل من الجلد ، طبقة رقيقة من الجلد .

جـــان : الناس جميعا سيأتون لمشاهدتك .

العجوز (مشيرة الى الصديق) سألتك من يكون هذا الرجل .

جان : ألا تعرفينه ؟ هذا جرجس . صديقي الذي كان يأتي الينا ويشرب شاى العصر معنا وكنت أدرس معه في الحضانة .

السيدة العجوز : (وهي تبرز أظافرها لجان) : أنت لم تجبني حينمـا ســألتك لمـاذا تركتني طول هذه المدة وحيدة ولم تسأل عني .

جـــان : لقد بحثت عنك في كل مكان .

العجوز : أنت لم تكن صـادقا في ذلك . كنت تعيش في قصورك وسراياك مع جميلاتك. لم تفكر في . كنت تسكن في بيت أبيك الذي كان أكثر مالا وجاهـا .

الصديق : لقد مات هو أيضا منذ زمن بعيد .

العجوز : لكنه استطاع بفضل ثرواته الطائلة أن يدفع للكنائس. ولديه منزل مناسب للموتى ولديه الأثاث والطعام . الحياة ليست عاديـة والموت ليس عاديا أيضا . وأنت ؟ نعم ، نعم ، نعم ، كنت تتظاهر بالبحث عني .

جـان : بحثت عنك في جميع المقابر وفي ملاجيء كبار السن ، وعنـد أختك وابنة عمك ، عنـد الأحياء وعند الأموات . بحثت عنك في سجلات الكنائس فلم أعثر على اسمك يا أماه .

العجوز : ذلك لأنك لم تطلب قراءة صلوات على روحي حينما كنت تبحث عني في هذا المنزل . كنت لا تنظـر الى أعلى ، كنت تنظـر الى الأرض فقط ، الأرضية التي نخرها السوس ، ثم تفـر مسرعا ، كنت تخاف وكنت تشعر بالخجل . ومع ذلك فأنا أمك وســأظل أعترف بك حتى نهـاية العالم ، بل وبعد نهاية العالم، وسآتيك في البرزخ بل وأعلى من ذلك ، في الكواكب العليا . أين أنا الأن ؟ في المقبرة العامة ، ولكنني أخذت حذرى واختبأت في أعلى السـقف . ولذلك فان هذا المنزل لم ينهر بالرغــم من قدمه وســأزلزل أساساته وأنشر فيه الفوضى .

الصديق : (لجان) : هذه ليست أمك ، أمك كانت رقيقة وديعة ، هذه جدتك .

العجوز : أنا الجدة والجد معا .

الأب : (داخلا للجدة) : لعلك تتخيلين أمورا مشكوكا فيها .

العجوز : (الجدة) : من المشكوك فيه انني أتخيل أمورا مشكوكا فيها .

الأب : ليس معنى انك تتخيلين أمورا أكيدة ، أنها ليست مشكوكا فيها .

العجوز : (للأب) : أنت هنا اذن ؟

الأب : (للعجوز) : أتعتقدين الآن أنك أكثر حياة لأنك ميتة ؟ كلا ، انك لست أكثر حياة من ذى قبل حينما كنت على قيد الحياة . أنا لم ألق عليك اللوم أسوة باى شخص يعتقد أنه ما يزال على قيد الحياة .

العجوز : بلى · انظر ، أنا أكثر حياة من ذى قبل ، لأننى فى حياتى لم تكن لى هذه الأظافر التى لى الآن بهذا الطول وهذه الصلابة · هيىء لى هذا الكرسى · ليكن هو كرسى القاضى · وضع هذه المنضدة أمامى لتكون منصــة المحكمة · وعليها غطاء أسود · هل فهمت ؟

(تقول هذا للصديق) ·

انظر ، يأتون جميعا ، يتلو بعضهم بعضا · أنا القضاء ، أنا مندوبة القضاة ، الله عادل لكنه أيضا جبار· قد لا تعلمون أن الله لا يغفر دائما·

(الصديق يجلسها فوق المنضدة ويجعل من الكرسى الموسد نوعا من العرش) ·

الصديق : (للعجوز) : كل ما أتيناه على الأرض لا قيمة له ، لا أهميــــة له · الجرائـم الكبرى والحسنات العظمى هى من خصائص الأحيـــاء ، ولكن كل ذلك باطل ، باطل فى العالم الآخــــر وفى عالم العالم الآخر ·

العجوز : اذا كنت لا تعتقد أنك على قيد الحياة ، أنت أيضا ، فى اللا حياة ، فلماذا تخاف مما تسميه أنت أيضا أظافرى ، مخالبى ؟

وأنت يا بنى · اجلس على يمينى وكن القاضى المساعد وليدخل المذنبون ·

(تدخل زوجة الأب الثـانية (أى السـيدة سامبسون) وهى عجوز مخضــبة بالزينـة فى ثياب شبابية مسرفة ، أشبه بالعاهر) ·

هانت ذى أيتها السـاحرة التى طردت ابنتى من بيتها· سأنشب فى عنقك مخالبى وهى أقوى من مخـالب الأحيـاء ، أقوى وأشـد ايلاما لغير الأحياء الذين لايملكون نقطة من الدماء يفقدونها، لأن الدماء تشفى ، ولكنك فقدت كل دمائك · وأنا لا أخشى الغدارات ولا السيوف ولا الخناجر·

(يدخــل الكابتن ، أحد شـقيقى السـيدة سامبسون ، وشقيقها الآخر الموظف الكبير) ·

هانت ذا أيضا ، سلف ابنى ، شقيق زوجته الثانية ، أنت الذى أمرت باطلاق النار على أهلى جميعـا ، أنت الذى كنت أنتظرك منـذ أزمان وأزمان · أنت ، أيها الكابـتن مثير للسخريـة بنيشانـاتك وأوسمتك وسـيفك ، ماذا جاءت تفعل هنـا كل هذه الزينات · لماذا قتلت أهـلى جميعا ؟ كنت أعرف أنك لن تفلت منى · أنا العدالة · بل أكثر من ذلك ، أنا الانتقام ·

الكابتن : لأنهم لم يكونوا من طائفتى · أمام محاكم الجيش الوطنى كنت قاضيا عسكريا ، وكانت عنـدى أوامر بقتــل جميع من لا ينتمون الى طائفتى· فكنت أحظى باحترام· وكانوا يحيوننى ويمنحوننى الأوسمة · وكنت فخورا بما كنت أقوم به ، أجل ، كان ينبغى أن أقضى على جميع من لا ينتمون الى طائفتى حتى تعيش طائفتى · كذلك كنت أقتـل وأحكم بالاعـدام على جميع فاترى الهمة من طائفتى ، جميع الذين يعتقدون عن جبن وضـعف أنهم طيبون · كان النـاس يهتفون لى فى الطرقات ، وكانت مرافعاتى أفضل المرافعات وأقواها وأكثرها اقناعـا ·

الصديق : (للعجوز) : ومن الجدير بالذكر أن أنصار طائفته قتلوهم أيضا ، عن بكرة أبيهم ، عن طريق طائفة أخرى · هو الوحيد الذى بقى على قيد الحياة من طائفته · كذلك فان الطائفـة التى قتلت طائفته قتلت هى الأخرى ، على أيدى طائفة ثالثة · ولا نعرف أســـماء لجميع هذه الطوائف ، هذه العشرات من الطوائف التى قتل بعضها بعضا ·

العجوز : (للصديق) : أنت محام فاشل ·

(للكابتن) من هم المحامون ؟ من كان يدافع عن آلاف المحكوم عليهم ؟

الكابتن : لم يكونوا فى حاجة الى محامين · كانوا يعترفون بأنهم مذنبون · أو كانوا يموتون قبل أن يحكم عليهم ·

العجوز : ستدفع أيضا الثمن ، ستدفع أيضا ثمن ما ارتكبته الطوائف التى قتلت طائفتك والتى نسينا أسماءها · العناية الالهية نفسها نسيت أسماء هذه المليـارات من المحاربين أو القتلة · سأقضى عليك بالموت وكذلك شـقيقك ، الموظف الكبير الذى كان يسلب أراضى الفقـراء الذين

كانوا لا يستحقون ملكيتها أيضا • لكننى سأستحدث طائفة من المذنبين أطلق عليهم السوبر مذنبين وهم مذنبون أكبر من المذنبين • أنا لا أعترف بالبراءة • والسماء الآن تضحك من هذا الحكم وأنا أقضى بهذا الحكم لكى أضحكها أكثر وأكثر • ما نحن سوى مهرجين • أنا أحكم بادانتك •

الكابتن : لا تفعل ذلك • دعى الذين ماتوا يبقون على الحياة فى الموت ، وكذلك الحمسين من الموتى الذين يموتون فى النار • أنا لا أريد أن أصبح رمادا •

الصديق : (للعجوز) : هناك طوائف أخرى ، الطوائف الأخيرة التى يقتل بعضها بعضا تحت سمع السماء وبصرها •

العجوز : فليحضروا جميعا أمامى ، وأنا أقتلهم جميعا •

(الصديق يدفع الكابتن بين مخالب العجوز) •

العجوز : (وهى تقبض على عنق الكابتن) :

ابتسم ، أيها الكابتن ، ابتسم •

(تغمد يدها الاخرى فى جمجمته) •

كم هى حمراء وسوداء جمجمتك • سأنهال بمخالبى فى عينيك وأنفك وفمك ، ابتسم أيها الكابتن ، اصرخ اذا استطعت ، سأنشب أظافرى فى عنقك ، هل تذكر أيها الكابتن الجميل كيف كنت تختال بحذائك الضخم اللامع ، وكيف كنت تلوح بسيفك • سأمنحك ثانيتين لكى تتكلم •

الكابتن : كانت مرافعاتى تقابل بالمعارضة • فكانت تأخذنى الشفقة •

العجوز : ولأنك كانت تأخذك الشفقة ، فاننى سآخذ منك سيفك الذى كنت تريد أن تغمده فى بطن ابنتى ، وأغمده فى بطنك أنت ، فى أشباح أمعائك ، والآن أنزع العين اليمنى ذات المونوكل (عين الكابتن تسقط) سأترك لك العين الأخرى لحظة لترى ما يحدث لك ، وأنتم أيها المساعدون انظروا •

(تنزع كتافيات الكابتن والشرائط والسترة)

لست فى حاجة الى جنرال أو عقيد لكى يعزلك من رتبتك •

الكابتن : القانون ، أوه ، القانون !

(الكابتن يصرخ ثم يصمت • ينهار) •

العجوز : لا تنزعوا الحذاء ، فقدماه قدما حى وهو يصدر رائحه نتنه •

(الكابتن يظل متمددا على الأرض) •

وأنت ، ايتها الساحرة ، اقتربى بالرغم من الخوف الذى يستولى عليك • هل احتفظت بقرطك وثوبك المكشوف الفاضح ، كأنك فتاة صغيرة • تعالى ، تقدمى ، اقتربى • (السيدة سامبسون تقترب) صغيرة وجميلة كما كنت دائما تعتقدين ذلك • سأتولى أمرك ، بنفسى •

(تترك كرسيها ذا العجلات وتسير وهى تعرج) •

لقد أردت أن ترثى كل شىء ، ابنى ، وثروة ابنى ، واستخدمت السحرة ليجملوك كل يوم • تقفين معتدلة القامة ،سترين الآن ••• وانظروا جميعا •

(تنزع عنها قبعتها وتلقى بها أرضا • فتنهال عليها بالعصا على ظهرها ، فتتحول السيدة سامبسون الى عجوز مقوسة الظهر • تمزق ثوبها والثياب الداخلية ، تنزع حذاءها ، وبأظافرها المدببة تنزع الزيف والمساحيق) •

(السيدة سامبسون الآن مقوسة الظهر تماما وتبدو أكبر سنا من الجدة • لقد حولتها الجدة من سيدة شابة الى عجوز حدباء عارية) •

(الجدة تأخذ فى الضحك) •

انظروا اليها جميعا ، الى حقيقة هذه المرأة بلا ذهب ولا زينة •

(تكيل لها ركلة · السيدة سامبسون تسقط على الأرض) ·

السيدة سامبسون : لا أستطيع أن أنهض ·

(الجـدة تقبض على قفاهـا وتجبرهـا على النهوض)

أشعر بالبرد ، أشعر بالخوف ، أنا آسفة ، أنا نادمة · ما كان ينبغى أن أصنع ذلك ·

العجوز : أيتها العاهر البلهاء ، امشى · امشى ·

(تضع بين يديها العكازين ، الجدة تتحرك الآن بخفه ورشاقـة وتمشى السيدة سامبسون وهى تبكى وتعرج معتمدة على العكازين) ·

الصديق : كفى هذا ، يا سيدتى ·

جـــان : كفى هذا ، سامحيها ، اغفرى لها ·

العجوز : (وهى تمشى بنفس الخفة ، للسـيدة سامبسون) :

لقد أخذت منك شبابك الزائف · منذا غفـر اذن فى الدنيا وفى الآخـــرة ؟ لقد فقدت قواك بالكامل ، أيتها الساحرة ، ورددت الى قواى · وأنت أيها الموظف الكبير ؟

الموظف الكبير : لقـــد قمت باعطـــاء الفلاحين المحرومين مساحات من الأرض · واذا كنت ظالما فى بعض الأحيان فقد فعلت ذلك خطأ ، فما من أحد يستطيع أن يتحرى الدقة دائما فى حســاباته · هذا ذنب الرياضيات الحديثة ·

العجوز : كذاب !

(تصفع الموظف الكبير) ·

الموظف الكبير : أنت تهينين واحدا من أكبر موظفى الدولة ·

العجوز : أيهـــا الأبله · (تكيـل له صفعتين اخريين) أين الفلاحـون الذين رحمتهم ورفقت بهم ، أين هم لكى يشهدوا بذلك ؟

الموظف الكبير : لم يعودوا سوى تراب ·

العجوز : اذن فليشهد عليك التراب ·

(الموظف الكبير يخرج من جيبه كيسا ويسقط على الأرض قليلا من التراب من الكيس) ·

هذا التراب لن يتكلم · لن يتكلم · لأنه لم يعد ترابا · انظر اذن عند قدميك ، هذا التراب اختفى · لم يعد هنـاك تراب · لم يعد هنـاك سماء ، لم يعد هناك عالم ·

الموظف الكبير : لم يعد لى مقبرة ، فأين مقبرتى، الأثر الجنائزى ؟ لن يعرف أحد حقيقتى ، لن يعرف أحد من كنت أنا ، أنا ··· أنا ··· اسمى ··· من كنت ، من كنت أنا ؟

(ينهار) ·

العجوز : أنتم جميعا · ولستم، فى الوقت نفسه، فى فضاءات خاوية هى ليست فضاءات ·

(تدخل غجرية جميلة) ·

ابنتى أهانها زوجها وزرى بها ، ولكنك أنت أهنت زوجته الثانية وزريت بها ، فأنا لا أبغضك ولا أحقد عليك · أما ابنتى فلن أوقظهـــا · ان الغفران الوحيد الذى يمكن أن نمنحه للموتى هو أن نتركهم فى هدوء · اشنقى عشيقك ، اشنقيه من رقبتـه مادمت تزعمين أنك كنت تحبينه · خذى هذا الحبل ·

(الغجرية تتوجه ناحية الأب) :

جرجريه وراءك ·

وليختف كل ذلك قرونا ، قرونا وقرونا ، سأستدعيكم ، فتقتلوننى ·

(العجوز تنزع أسمالها وانفها الكبير المزيف فاذا هى شابة جميلة ، تغنى أو بالأحرى تطلق صيحات فرح عالية ، لا تنتمى الى عالم البشر) ·

(الكابـتن والموظـف الكـبير ، والسـيدة سامبسون ينهضــون ، يأخـذون الأب بينـهم ويخرجون جميعا وهم يضحكون) ·

(ضـباب كثيف يرتفـع فوق المنصـة كلها يستمر لحظات ثم تظهر المنصـة خالية ، ليس فوقها أحـد) ·

فى الوقت الذى يستمر فيه الضـباب فوق المنصة ، يسمع ضحك وصخب يشبهان النحيب· ثم يختفى كل شىء مع الضباب) ·

(تمت)